

بين مدينتين صغيرتين

مختارات شعرية

محمد جابر النبهان

الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة آفاق عربية
136

إهداء ٢٠١٥
الهيئة العامة لقصور الثقافة
جمهورية مصر العربية

بين مدينتين صغيرتين

مختارات شعرية

محمد جابر النبهان

وزارة الثقافة

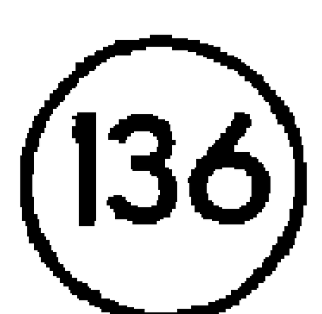


سلسلة
آفاق عربية
تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير إدارة النشر
على عفيفى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

- بين مدينتين صغيرتين
- محمد جابر النبهان
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2011م
160ص. 13,5 x 19,5 سم
- تصميم الغلاف: أحمد اللباد
- المراجعة اللغوية:
سوزان عبد العال
سعيد شحاتة
- رقم الإيداع: ٢٠١١/٧٧٠٢
- الترقيم الدولى: 978-977-704-615-2
- المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

- الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096



سلسلة شهرية تعنى بنشر أعمال الأدباء العرب

• هيئة التحرير •
رئيس التحرير
إبراهيم أصلان
مدير التحرير
لبنى الطماوى

بينَ مَدينَتينِ صَغيرتين

الإهداء

إلى ناصر الظفيري
وسمائه المقلوبة
بين مدينتين صغيرتين ووطن

١- غربة أخرى

أينما جرف النهر ظل الغياب

حَيثما جَرَفَ النَّهرُ ظِلَّ النَّخيلِ
انْتَظَرتُ عَسَى سَعفَةَ آتية
كى أُواريكِ ظِلاً
يجوعُ لشَمسٍ تَحُكُّ الجليدَ
انتظَرتُ على طَرَفِ السَّاقيةْ .

المساءُ تَنَفَّسَ معراجَ روحِي
سافَرَ فِيَّ إلى مُدُنِ الملحِ والصَّيفِ
طفلاً سيَحْزِمُ أسراره البالية
فَوقَ صَدْعِ الرَّصيف .
أَيُّهذا النَّزيف
وتَنْحَلُّ أَزرارهُ

انسلَّ جُرحًا
من اليُتمِ للهاوية.

خلسةً...
غادرَ النَّورسُ البَحرَ
أنشَدنا النَّخلُ حُزنَ المواويلِ
– ما أتعَبَكْ؟
– غَير هذا الفضاء / الصدى
عابرًا فوقَ ثَلجِ المُحيطِ بعينَيكَ خَوفُ العَصافيرِ
أنْ تَخْدُشَ الدَّمعَةَ الذَّاكرة
– هل تَذَكَّرتَ يا صاحبى صاحبكْ؟
المساءْ..
المساءُ قطارٌ بَطىءٌ بلا أصدقاءْ.

كَيفَما جرَفَ النَّهرُ ظِلَّ النَّخيلِ
ابتَعَدتُ
ابتعدتُ
وَغَافَلَنى النَّصلُ فى الخاصرة.

الخَريفُ يُبَعثرُ أيّامنا
عَبَثَ الرِّحلةَ / السُّكرِ
والطَّلقة الحَائرة.

فى الرِّمالِ الجَديدَةِ وَزَّعَ أَحزانَهُ، وارتَمَى..
بيَن كَفَّيهِ خَوفُ المَسافَةِ والرِّيحِ، مَنْ للغَريبِ؟
ذَكَرْتُكِ! فوقَ احتمالِ العُبورِ/الجَوازِ المُزَوَّرِ،
أَوَّلُ أَرضٍ تَراءَتْ، بَكَى الطِّفلُ فى داخِلى..
واحتَضَنْتُ الغِيابْ.

المدى..
أَلفُ بابْ.
لَوحَةٌ خَلَّفَتها حُروبُ التَّكَوُّنِ
والشَّمسُ تَغرَقُ فى هَدأَةٍ والقَمَرْ
لَحْنُ تَغريبَةِ البَدَوِىِّ/
الرَّبابَةَ/
تاريخنا/
جَدُّ هجرَتنا أَوْقَفَ الرَّكبَ
كى يَعبُرَ القَلبُ فى فِتنَةِ الهَيْلِ
مَرُّوا..

وما وَرَّثوا
غيرَ فلسَفَةِ النَّجمِ أَنْ يَحفِروا البِئرَ صَوْبَ المَطَرْ.

أينَما جَرَفَ النَّهرُ ظِلَّ الغِيابِ

أَفَقتُ على وَجْهِ أُمٍّ
تَمُدُّ الرَّغيفَ
- وَكُنتُ بَعيداً -
[بُنَيَّ..]
أَفقتُ
عَلى
صَوْتِها
يَنْهَمِرْ.

أربع بطاقات فى مطلع السنة الجديدة

١- وطن

وَطَنى..
هَل وَطَنٌ يُسقطُ اسمَ حَبيبٍ فيه؟
يُشَمِّعُ بالأَحْمَرِ كُلَّ سجلاتِ مَدائنه
أو يَشطُبُ بالأَحمَرِ أَسماءَ النّاسِ
أَجوعُ إِليكَ أَيا وَطنًا غَرَّبَنى
كَىْ أَشحَذَ أَرضًا
اسمًا
وَجهًا لا يُشبِهُ مِلحَ تَكَوُّنِنا.

وَطَنى..
وَاشْتَقتُكَ نَهراً يَحرُثُ فى القَلبِ
اشتَقتُكَ قَلبًا يَختارُكَ رغمَ البُعدِ
اشتَقتُكَ عُنوانا.

مَن يَكتُمُ فينا السِّرَّ
بَنفسَجَةَ الرُّوحِ، ورَجْعَ حَمائِمِ ذِكرانا؟

وَطَنى..
هَل وَطنٌ خَنجَرُه فى خاصرةِ العاشِقِ
حينَ يَبوحُ بحُزنِ النَّورَسِ أتعَبَهُ
أنْ لا ماءَ ولا أنْواءْ.

وَطَنى..
هَل وَطنٌ؟
أم بئرٌ للنَّفطِ مُشَرَّعُ فى الصَّحراءِ
لدَلْوِ الغُرَباءْ؟!

٢- امرأة

وَتَأَخَّرتِ كَثيراً..
يا حُلمى الأَخضَرَ
يا عطراً مازالَ يُسافِرُ فِىَّ حَنينًا أَخضَرَ
يا طَلعَةَ صُبْحٍ..

وَتَأَخَّرتِ،
تَأَخَّرت..
الحُلمُ تَشَظَّى كَالمرآةِ
وَعُطرُكِ لا يُسكِرُ فى المَنْفى

وأَنا وَحْدى
لا أرضًا أَمْلكُ
لا تَملكُنى كُلُّ الأَرضِ
وَحيداً..
أَحمِلُ نَفْيِى الآخَرَ
جوعى الآخَرَ
أَعوادَ الصَّلْبِ
أَدورُ غَريبًا
أَبحَثُ عَمَّن يَصلِبنى تَحتَ ظَهيرةِ عِشق.

٣- صديق

أنتَ هُنالكَ..
ما بينَ الضَّجَة، والحُلمِ الهَدأةِ
تَحكي لرِفاقٍ جُدُدٍ
عَن سرِّ الحَدسِ،
وَصوفيَّةِ عشقٍ،
عَن طولِ أَفرَعَ،
عَن «مَقهى الفضّي»،
عَن حُبٍّ أُجهضَ رُغمَ شَفافيةِ الرُّوحِ
وَعَن مِلحِ صَداقَتِنا

تَحكي لكِبارٍ..
عَن عَبَثِ الطِّفلِ المُتعَبِ
خَطَّ على الرَّملِ حِصانًا
رَكِبَ الرِّيحَ، وغادَرَ مَحمومًا

آهٍ يا صاحبُ..
مَن يَمسَحُ طِينَ الغُربَةِ عَن وَجهِ الطِّفلِ؟
وَمَن يَحكي
- إن غِبْتَ -

بأنَّ الرَّاحِلَ لا شَكَّ يَعودُ؟
يا صاحبُ..
مَن قالَ بأنَّ الرَّاحِلَ لا شَكَّ يَعودُ؟!

تَنهَشُنا الغُربَةُ..
أنتَ هُنالكَ
ما بَينَ الماءِ وَبين النَّارِ
تَعدُّ سنينًا
تُسقِطُها العَتمَةَ.

٤- وحدة

حينَ أعودُ لوَحشَةِ دارى
حينَ أُقَلِّبُ نَفسَ الأَوراقِ المُهمَلَةِ التَّرتيب
وَديوانَ السَّياب
وَبَعضَ الصُّوَرِ المُلْقاة حَنينًا
والخَطَّ الكوفِيَّ مُحاطٍ بالتَّشْكيلِ المُحْدَث
حينَ أُحَدِّقَ ثانيَةً
فى قاعِ الذَّاكرَةِ الأَحدَبِ
حينَ أُعَلِّقُ معطَفىَ المَطرِىَ
وَأَسكُبُ شايًا فى الكَأسِ

وَأُشعِلُ عودَ ثِقابٍ
... أَمْلأُ هذي المِنفَضَةَ العاقِرَ أعقابَ سَجائِرْ.

حينَ أعودُ
أعودُ مُغادِرْ.

أعرفُ أنّي
بتُّ وَحيداً
تَلْسَعُني بِسياطِ غُربَة.

من فرط الرحلة

مِنْ فَرْطِ شفافيةٍ
أو فَرطِ السُّكرِ، عبَرنا الجسرَ
لنوقظَ أحلامًا شتَّى
ونُعلِّمَ أجيالاً تأتى:
أن دُروبًا عَذراءَ ولَجْنا فى لجّةِ وجدٍ جامح،
أو ضَجَّةِ خيلٍ جرداءْ.

تَغوينا الصحراءُ
بأنْ نَحزمَ قلبًا ينْدفُهُ الهَجرُ
ونَرحَل أبعدَ فى عبث الصَّحراءْ.
لا نفتحُ بابَ مُغامرةٍ

إلاّ لِنُعلِّمَ أجيالاً تأتي:
أنَّ الأَرضَ تدورُ على قرنِ الثَّورِ
فَتُسْقِطَهُ..
لِتَدورَ بكلِ الأشياءْ.

فَنَدورُ بها...

فينا غُربةُ آدمَ منذُ البَدءِ
وشهوتُها الأُولى حَواءْ.

فينا الطوفانُ..
وفينا أرَقُ البَدَوِيِّ السَّكرانِ
بِفَرْطِ حَساسيَةٍ
أو فَرْطِ الرحلةِ
فينا...
أتذكرُ ذاتَ مَساءْ..
.....
حينَ عَبرتُ الجِسرَ الفاصِلَ
بين الطِّينِ وثلجِ الغربةِ..
أُمّي كانت تَدعو بالسَّترِ

أبى صَلّى نافلةً
تعويذَةَ حفظِ خَطٍّ أخى
ليدُسَّ السِرَّ الصوفِيَّ صَديقٌ
أتَذَكَّرْ..
أتَذَكَّرْ..
أتذكرُ حَدَّ الإِغْفاءْ

حتى تكتمل القصيدة

صَمتًا..
وَأُطفئت الإنارَةُ
عُدت وَحدَكَ، والحُضورُ تَفَرَّقوا
قَدَماكَ فَوقَ الثَّلجِ
حينَ تَصرُخُ في الغَريبةِ
من مُدى الشَّرقيِّ
أَنْ تَصحو مُشرَّدَ في الصَّباحْ.

سيجارَةٌ أُخرى
وَيَشتَعِلُ الحَنينُ لنَخلَةٍ
للبَحرِ

للأصحاب؟
تَجْرِفُكَ الرِّياحْ.

قَمَرٌ هُنا..

من فَرْجَةِ الشُّبَّاك
يَفتلُ خَيطَهُ الفضِّيَ
للعُمرِ المُعلّقِ غُرْبَتَيْنِ على حَوافِ اللّيلِ
مَرَيَمُ..
شَرَّعى الشّبَّاكَ أزرَقَ فى المَساءِ
لآخرِ الماضينَ غَربًا
آخرِ الماضينَ غَيبًا

هَيِّلى لَيلى الطّويلَ قَصائداً
نَجمًا
خُزامى.

من نَومهَ الطِّينىِّ يَصحو فى الهَجيرَةِ
بَعضُ حُلمٍ
كُلّما قُلتُ الْتَقَيْتك
هَوَّمَ الجرحُ اللَّجوجُ

انْحَلَّ وَجهٌ بعدَ وَجهٍ فى الغَريبَةِ
رَيثَما انحَلَّ النُدامى.

شَرقًا..
وَهَرَّبَنى الحَنينُ إلى دِيارٍ
لَم أَزَلْ أشتاقُ للشّبّاكِ
للباب القَديمِ
وَحُجْرَةٍ..
[قَد سَرَّبَ الفانوسُ أَحزِمَةَ الضِّياءِ]

عَريشَنا..
[تَوليفَةَ الحَطَبِ]

الصّغار..
تَمَرَّغوا بالصُّبحِ وَارتَفَعَ النَّشيدْ.

للأَرضِ دَورَتُها الأَخيرَةُ، مَن يُعيدْ؟
للأَرضِ بَعض سَكينَةٍ
أَجدادُنا..
حَفِظوا الحِكايةَ عن قَديمِ الحَربِ وَالتَأْريخِ
بَعضَ مَصائِبٍ

خَرّوا عَلى قَوْسِ البِدايَةِ
مُذ رَأَوْا أَسرارَهُم عَبثَ الخَريفِ
فَحَوْلَ جِهاتِكَ السِّت احْتِراقْ.

مَرّوا...
قُبَيلَ الفَجرِ مَدّوا
في اشتِعالِ المِلحِ جِسراً للعِناقْ.

للأرضِ دَورتُها الأَخيرَةُ
أَوقِدي لَيلي البَهيمَ عَبيرَ ضِحكَتِكِ
انعتاقَ الرّوحِ
يَنكَسِرُ الضّياءُ عَلى زُجاجِ القَلبِ
يَجرَحُكَ انتظارٌ أَن تَجيءَ بِطِفْلِها النُّورِيِّ
إِن هَزَّتْ نَخيلَ الرّوحِ مَريَمُكَ الجَديدَهْ.

الشِّعرُ رِحلَتُنا الأَخيرَةُ
- أَوْصِدي الشُّباكَ
- مَهلاً
- أَوصِدي الشُّباكْ
سيجارَةٌ أُخرى
وَتَكتَمِلُ القَصيدَهْ.

الموت فى الزوايا

يُعَذِّبُنا نَزيفُ العِرْقِ،
من تَعبٍ..
نُجَرجِرُ رأسَ حِكمَتِنا،
بأنّا:
كُلّما ضاقَت بأهلِيها مَرابِعُنا،
عَبرنا خَوفَنا للخَوفْ.
وتَخنقُنا الزّوايا..
مُتعَبونَ وَحائِرونَ
كأنّما:
لا أَرضَ تُشْبِعُ جوعَنا الأَبَدِىّ،
نَعشَقُ أن نَموتَ مُعلّقينَ،

بلا مَكان ثابت،
وزَمانُنا خَلفَ الزَّمانِ،
مَساحةٌ للكَشفْ.

ومَن تَعَبٍ،
نُجَرْجِرُ رأسَ حِكمَتنا:
«بلادُ الله واسعة»
وَشَطْرَ مَدائن أُخرى،
نُعانقُ دَهشة ما ليسَ يُشبهُنا
عَلى وَجهِ المَرايا / الزَّيفْ.

نُحِسُّ النَّفيَ
فى عَيْنَىْ صَغيرٍ
لَم يَرَ بَعْدُ الكَواكبَ
تَعبُدُ الطُّهرَ الّذى ألْقاهُ
فى جُبِّ التَّغَرُّبِ
حائراً..
لا ماءَ يُشبِهُ قَلبهُ الشَّفافَ،
يَصرُخُ بالقَوافلِ:
إخوَتى قَتَلوا الأُخُوّةَ
مُذْ رَمَوْنى

إخوَتي..
رَقَصوا عَلى جُرحي
ونَخبَ نَزيفِهِ شَرِبوا.

يَصرُخُ بالقوافلِ:
إخوَتي..
....
ويَظلُّ ينتَحِبُ.

ويَصرُخُ:
إخوَتي..
....
وَيَظلُّ يَنسَحِبُ

صَداهُ الآنَ من سِجنٍ
إلى سِجنٍ..

وَمن شَفَقٍ إلى شَفَقٍ
عَبَرنا بالمئات مَحَطَّةَ
الوَعد المُسَمَّرِ حَسرَةً،
وَتَخونُنا شَمسٌ هَوَتْ مِن راحَةِ الأُفُقِ.

وَمن أرقٍ إلى أرقِ
عَبَرنا بالأُلوفِ مَحَطّةَ اللا وَعدِ
إنّا كلّما فَتحَتْ ذراعَيْها لنا أمٌّ
تَرَكناها تُعالِجُ جُرحَها في رأسِ مُفترَقِ.

وَمن رَمَقٍ إلى رَمقٍ أخيرٍ،
أينَما مَدَّ الضَّياعُ
ظلالَ غُربَتِه
لَنا طفلٌ سيولَدُ
من نَواحي الصَّمتِ
يَصرُخُ..
إخوَتي...
....
.... مَهلاً
فَذا وَطَنٌ هُنا في آخِرِ النَّفَقِ.

القصيدة.. وطني

إلى فهد المطيري

«كلما اتسعت المسافة التي تفصلنا، تماثلت لي أكثر قرباً»

تَرَكتُ عَلى مَسائِكَ دَمعةً..
وَحَزَمتُ أوراقي،
وَأشيائي الصَّغيرةَ،
وَالسِّنينَ البُعدَ،
صَوتي في صَداكَ،
صَداكَ في صَوتي..
وأَسئِلَةَ القَصيدَةْ.

وَأشعَلَني نِداؤكْ.
وَأشعَلَني..

أُسافِرُ حاملاً اسمي واسمَكَ
- في العُبورِ الصَّعبِ -
علَي..
أُهَرِّبُ صَوتَكَ الدّافئَ - صَداىَ -
صَداكَ في صَوتي..

وَأَشعَلني اشتِعالُكْ.
وأَشعَلني..

أنا وَطَنٌ أُضَيّعُهُ
يُضَيّعُني..
يُحَمِّلُني تُرابَ جُدودِهِ ما لا أُطيقُ
ولا يُطيقُ..
وَأَنتَ أنتَ تُطلُّ من رَحِمِ الغِيابِ
- كَما انتَظَرتُكَ -
فاتِحًا كَفَّيكَ للمُدُنِ البَعيدَةْ.

تُرابُكَ يَشتَهيكَ
فلا تُغادرْ أرضَكَ الأُولى
فَتَخطفُكَ الجِهاتُ مِنَ الجِهاتِ.
لنا عُمرٌ سَيَكتُبُ ما يُريدُ،

وَلى..
جُنونى أَن أُفارِقَ ما أُريدُ،
ولى شَتاتى.

أَنا جُرحٌ سَيَلتَهِمُ الضِّمادَ مُكابِراً
وَيَظلُّ يَنْزِفُ ماردًا أَبدًا وَريدَهْ.

أَنا عوليسُ من رَجَمَ البِحارَ
- كابْنِه المَشْغوف -
يَبحَثُ فى المَنافى عَن أُناسٍ قَلّما انتَظروا بَريدَهْ.

تَرَكتُ عَلى مَسائِكَ دَمعَةً..
وَنَثَرتُ أَوراقى،
بطاقاتى الأَخيرَة،
وَالسِّنينَ الجَدبَ،
صَوتى فى صَداكَ،
صَداكَ فى صَوتى..
وَغِبتُ هُناكَ فى وَطَنى / القَصيدَةْ.

فصول

* خريف

أَكتبُ اسمى
أَتَعَثَّرُ بالميمِ طَويلاً
فَأُحاولُ أَن أَرسُمهُ بِحُروفٍ أُخرى
أَتَعثَّرُ بالألوانِ وَأَعصابِ الذُكرى.

صَفراء أَوراقُ الوَعدِ
وَباهتَةٌ
وَهُنا آلاتٌ تَأكُلُ فى الباصِ
وَأَشجارٌ لا تورِقُ..
قَمَرٌ مُتعَبْ.

مِن نافِذَتى..
- وَحدى -
أَلْمَحُ طِفلاً (حافى) فى الشَّارِعِ يَلعَبْ.

*** شتاء**

أَنْهَضُ من نَوْمى كُلَّ صَباحٍ
فى كانونَ
أَعُدُّ ضُلوعى
ضِلْعًا
ضِلعًا
حَتّى آخِرَ هَذا العَتْمِ
أَنامُ وَأَحلُمُ فى شَمسٍ صَيفِيَّةْ.

أَشْعُرُ أَنَّ الغُربَةَ تَخنِقُنى
يا صاحِبُ
فى بَلَدٍ لَيس يتابِع
إلاّ الأَرْصادَ الجَوِّية.

* ربيع

أَخرجُ مِن ظِلّى للحَقلِ
صَغيراً
أَجْمَعُ أزهاراً للبَيت
أُرَتِّبُ هَذا العُمرَ الفائتَ
سَبع سَنابِلَ خَضراءَ
وأُخرى يابسَةً
وَفَراشاتٌ لا تَعرِفُنى.

يا وَطَنى الغائبَ
فى أَىٍّ بلادِ الله..
-وأَنا أَحْمِلُ أَلوانَ الرَّسمِ مَنافىَ
مُنذُ سَنابِلَ سَبعٍ-
.. يَرسِمُنى وَطَنى.

* صيف

تَلسَعُنا النّارُ...
أَرجِعُ، لا بَيتٌ فى البَيتِ
وَلا جارُ

يَخرُجُ مِن قَيْلولَتِهِ كَي يَشرَبَ شايًا في الشُّرفَة.

وَحدي وَالنّاسُ عَرايا في البَحرِ /
الشّارِعِ /
في الأسواق..
وَوَحدي أتَشَبَّثُ في زاوِيَةِ الغُرفَة.

* شتاء سابع

الأرضُ جَليدُ
وَالنَّهرُ جَليدُ
وَالقَمَرُ الْمَحبوسُ وَراءَ غُيومِ الثَّلْجِ
شِتاءً سابِعَ لا يَحمِلُهُ عيدُ.

كُلُّ سَماءٍ
لا تَكشِفِ وَجهًا لِلنّاسِ جُحودُ.

رحيل بلا فائدة

إلى نزار قيسية

«قراءة فى وجه لقاء عابر ذات غربة»

وحيداً هُنالكَ
حينَ استَعَرْتَ بقايا من الحَدْسِ
كى لا تَضيعَ هَباءً لياليكَ فى جثةِ الصمتِ
أو غربةٍ باردة.

وحيداً
تُفَتِّشُ بين الوُجوه
على وَجه من ماتَ حبًا إليكَ،
وخَلَّفتَ فى ظِلّهِ دَمعةً شارِدة.

تَخونُ المواعيدُ..

كنّا هُناكَ انتظاراً مَريراً
نُراقبُ عُمراً تَساقطَ في العَتمِ سَهواً
وطوراً نُسافرُ في الحلمِ
كي نُشعِلَ اللَّحظةَ الخامدَةَ.

تَخونُ البلادُ مواقيتَها
والفُصولَ /
المَواعيدَ /
أبناءَها /
أُمنياتِ الصغارِ...
البلادُ تكادُ جُنونًا تَكونُ
احتمالَ سُقوطٍ
هدايا بِكَفّيْ بَخيلٍ يُشاكِسُ عُصفورةً في الهزيعِ
ويُلقِمُها النَّبْلَةَ الحاقِدة.

وَحيداً
وحيداً
تُرتِّبُ أشلاءَكَ الآنَ
كيما تَعودَ غَريبًا لأرضٍ نَستْكَ
كَأنَّ السِّنينَ المَضَت في المَنافي
رَحيلٌ بلا فائِدة.

غربة أخرى

إلى الشاعر الفقيد على الصافى

(١)

مَرّةً قُلتَ - صَديقى:
«لَطمَةَ المَظلومِ» أَقْسى،
وَالقُرى وَحشَةُ طِفلٍ غابَ فى اللّيلِ
وَأعياهُ الإِيابْ.

«المَرايا...
وَجه مَن غابوا» صِغاراً
حينَ لم تُبْقِ المَسافاتُ طَريقًا ليَعودوا
فالمَرايا..
وَجه من ماتوا صِغاراً

فى خَليجِ الخَوفِ،
أوصَمتِ الصَواري المُهمَلة.

(٢)

خلسةً..
تَرحَلُ فى اللّيلِ،
وتُهدينا صُداعَ الأسئلَة.

(٣)

«يَرحَلُ البَحرُ» حِداداً
واحتِجاجًا
وخَديجَة..
تَتَهجَى بنَشيجٍ لُغَةَ المَوتِ،
وتَخطو رَعشَةَ الحَرفِ عَزاءً،
تَلبَسُ الحُزنَ تُرابيًا،

تُغَنّى:
(يا حُضوراً..
يا حُضوراً..

كيفَ عانَقتَ الغِيابْ ؟)

حلمكَ الأَخضَر مازالَ على الوَعدِ صَليبًا

كلّما قُلتَ سَيأتي

خالَفت ريحٌ شِراعي

قلتَ : يَأتي

- كيفَ والْـ..

- يأْ...

كيفَ والعُمرُ مَضى كالعاصِفة.

(٤)

غُربةٌ أُخرى صَديقي

تَمنَحُ الصَّبرَ جَوازًا

ثُمّ تَنسى وَجهيَ المَصلوبِ جوعًا

في زَوايا الأَرصِفَة.

رجوع..

كأنّي..
كأنَّ البلادَ البَعيدَة.
أُرَمِّمُ أيامَها فَوقَ وَجهي
وأُحصى المَسافَةَ ما بَينَنا والحُدودْ.

كأنّي..
كأنَّ المَدى واحدٌ. وَالبَريدْ
واحِدٌ.. وَالأغاني وَحيدَةْ.

أُحَنّي الشَبابيكَ
وَالبابَ. أترُكُ قَلبًا مُوارَبَ /

وَردًا معتَّقَ فى الكأْسِ /
صَوتًا خَفيفًا /
عَسى قادمٌ مِن بَعيدْ
يُعيدُ لِىَ العُمر ما قَد مَضى
فى رَحيلٍ
وأَرضٍ جَديدَة.

كَأَنّى..
كَأَنَّ البلادَ البَعيدَة
تُرَمِّمُ أيَامَها فَوقَ وَجهى
وَتُحصى الغِيابَ
كأَنّى أعود..
كَبيراً
عَلى كَتفِ ابنى اتَّكَأْتُ
لأمشى خُطى والِدى مِن جَديدْ
وأرثى القَصيدَة.

جدارية مدينة هاربة

كلُّ شيءٍ مُعَدٌّ هنا للرحيلْ :
شارعٌ لا يؤدى إلى آخر /
والوجوهُ . .
تودِّعُ أحلامها فى رُكامِ المكانِ /
المقاهى /
رجالٌ يبيعونَ أسمالهم فى الطريقْ /
نسوةٌ يلتحفنَ السوادَ /
الصراخُ الطويلُ لطفلِ النهاياتِ /
كِسرةُ الجوعِ /
الجوازُ المزوَّرُ للموتِ فى موتنا /

لجنةُ الأمنِ /
أصواتنا في زوايا السجونِ /
مساءٌ ثقيلٌ على أوَّلِ النهرِ /
حارسٌ أبكمُ في الحدودِ /
صراعُ الجيوشِ على ضفتي جُرحنا /
شاعرٌ خائنٌ /
فاتحٌ قادمٌ من مكانٍ قصيٍ /
صورةٌ في جدارٍ عظيم
تحطِّم أحلامنا،
تحطبُ العمرَ،
تَهْزأُ من طينةٍ باردةْ.

تشابه

إلى روح أستاذى، محمد إبراهيم

لنا غربةٌ واحدةْ
ورصيفٌ يتيمٌ
نتبادل أصفرَه والسوادَ
وتأشيرةً للعبورِ
انتظرنا سنابلنا السبعَ
كي تَعبرَ الحلمَ
سَبعًا
ونرمي الحصى في اتجاهٍ يخون .

لنا ظلّنا واحدٌ
والجنونْ.

أن تمسَّ النهايةَ قبلي
وتتركني
- هكذا -
طلقةً في الهباءْ.
أتذْكُرُ أوّلَ صيفٍ:
(لكِ يا منازلُ في القلوبِ...)
وكافورُ يحشدُه اللهُ والأولياءْ.

لنا وَجهُنا واحدٌ
والبلادْ..
طريقٌ إلى نفينا واحدٌ
والذينَ استعادوكَ أرضًا
بَكوا في المطاراتِ:
- لا أرضَ في أرضنا..
والسماءُ

تدلي لك الحبلَ
كي لا أعانقَ فيكَ الوطنْ.

لنا أن نتشابهَ..
غربةٌ واحدةْ،
واحتمالٌ وحيدْ.

فى الزحام.. ولا أحد

شارعُ لا يؤدّى إلى البحرِ
مرّ النهارْ..
مرَّ ليلٌ..
وأيامنا - هكذا -
صورةٌ فوق صمتِ الجدارْ.

***

الظهيرةُ
فى ساعةِ الضّجرِ اللا نهائى
شمسُ تموزَ،
صاحبتى،
وأنا ندخلُ المعركة.

يقضمُ الوقتُ أجسادنا
فوق سَفحِ الغروبْ
ثم ينكشُ أسنانهُ
وينامْ.

***

يتركونَ مصائبهم
فوق طاولةٍ نائيةٍ
علّهم يشبعونْ.

***

ليسَ ثمَّ صديق..
في الزحامِ تعانقه عزلة باردة.
لا أحدْ.. في الزّحام!

***

كالقطارِ
أسفَرني بين صحبي القدامى وصحبي الجددْ..
ريثما يتركونَ سجائرهم
للقطارْ.

***

ذاهبونَ جميعًا
إلى الحتفِ خلفَ آلاتنا
في احتفالِ الصباحْ.

بهدوءٍ تقلِّم أحلامها
وردةً
وردةً
تكتفي بالعبقْ.

***

القصيدةُ لا تمنح الخبزَ
قالتْ
ولم ألتفتْ.

***

كلَّ سبتٍ..
تصفّف جارتنا شعرَ كلبتها
وأنا..
أتلمّسُ غابةَ رأسي.

***

يصرخُ الهاتفُ الماردُ
- لن أردَّ له صَوته.

***

سائحٌ في الطريقِ
يصادفني سابحًا في الديونْ
....
أبتَسِمْ!!

نشرةٌ موجزة:
أبطلوا سحرَ
هذا المكانِ الجميلِ الجميلْ
....
لن تمرَّ على الوعدِ ثانيةً معجزةْ!

***

البلادْ
كلَّ تلك البلاد
- هدايا النبيُّ الجديدْ -
في يدٍ واحدةْ.

***

الجنونْ..
أن نسلِّمَ أيامنا
لبخيلٍ يخونْ.

***

الذّاكرة..
كالفجاءة
لكمةُ أعمى على الخاصرةْ.

***

عاشقانِ بزمّانِ خصرَ المدى
- هل تَجيءُ غداً؟

- نلتقي..

.....

في غدٍ تحتفل..
دميةٌ للشّتاءْ.

***

السّماءْ..
هل تنام؟!
مثلنا في المساءْ.

***

أتوضَّأُ بالجوعِ
أقرأ ما قد تيسَّرَ
من سورةِ المائدةْ.

***

صرخةُ الطفلِ
تفضي إلى التَّهلكةْ.

***

في الصَّباحْ
يرتديني قميصٌ جديدٌ
- إلى أين يا أبتي؟
- (ربما لقمةٌ سائبةْ).

***

أرتمي خارجي
كي أرى جائعًا آخرَ
لا يموتْ.

***

أرتمي داخلي
أو
أموتْ.

طرقات على أبواب موصدة

« ما قاله المنكوبون الجدد عند باب عروة بن الورد »

«قال ابن الإعرابي: أجدب ناس من بني عبس في سنة أصابتهم، فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلما بصروا به صرخوا: (يا أبا الصعاليك أغثنا) فرقّ لهم، وخرج ليغزوا بهم، ويصيب معاشا، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها، وخرج غازيا...»

هذا دَمُنا..

مسفوح فوق الثّلجِ،

تجمّدَ عِرقُ الثأرِ، وسَلمى تنهانا.

عن طرقِ مجاهلِ هذى الأرضِ

وكنّا استفهامًا فى وجهِ الشرقِ/ المنبتِ/ نَصلِ الجوعِ/ الشعرِ/ الحربِ/ الحبِ/ قبائلنا..

تلك القطعتْ أقصانا عن أقصانا.

هذا دَمنا..

وأسارى بابلكَ لا يشغلنا
إلا المتربَصُ فينا – منذُ سنينٍ –
يلعبُ مهووسًا مَعْ قاتله
ويخيِّطُ ثوبَ خطايانا.

تعبٌ كل قصائدنا
وهدايانا..
قحطُ الموسمِ،
والبئرُ المردومُ على أكوانِ مرايانا.

مازلنا نحضنُ صَبَّار الوعدِ
نعضُّ أصابعنا ندمًا
ونطوِّفُ أفرادًا وجماعاتٍ
علَّ بلادًا ترحمنا
علَّ المنفى..
يمنحُ أطفالاً خبزًا
يا شيخُ..
وأبوابكَ موصدةٌ في وجه شكايانا.

ذات ربيعٍ:
أرسلنا قطعانَ الحلمِ

وفاجأنا جُند النعمانْ
فى راياتٍ عجماءَ، وصورةُ كِسرى
تلمعُ فى شاراتِ العسكرِ
صادر حلمَ القطعانْ.

صادَرَ كلَّ أراضينا
صادَرَ لغةً نحفظها من جدِّ الأجدادِ
وصادرَ بيتَ الشِّعرِ
قصائدنا
صادَرَنا
وبنى أرضًا بسياجٍ
- أسماها وطنًا -
وعماراتٍ
علَّمنا أن نصبحَ جندًا فى القصرِ
وعلمنا أن نهتفَ كل صباحٍ
- باسم الله / الوطنِ / السلطانْ.
علَّمنا أن نصنعَ كلَّ حضاراتِ السَّيفِ
وعلّمنا كيف نبيعُ المنبتَ
ما علّمنا أن نصنعَ إنسانا..
يلمسُ جوعَ أخيه الإنسانِ بعينيه
أيا شيخَ شيوخِ الفقراءْ.

للصُّدفة أصحابٌ
نَرقبُ من رابيةِ اللّيلِ خُطى وَحشٍ
يألفُنا
ويُؤلّفنا قِصصًا للوحشة
يفتكُ فينا الجوعُ الأبديُّ
ونقتسِمُ اللُّقمةَ من قافلةِ الوطنِ الهاربِ في مدنِ الغُربَاءْ.
قدرًا أن نهربَ من قدرٍ للقدرِ الصَّعبِ
(نحُوفُ)
فُرادى وجماعاتٍ
عَلَّ الصَّحراءْ..
تَحملنا عشقًا لامرأةٍ أُولى
دافئة..
تَدفنُ فينا قَلقَ الرِّحلةِ والرِّيحِ
نُطوِّفُ حَولَ مدائنها المصقولَةِ من خمرٍ ونساءْ..

نَحملها عشقًا
ونُزَوِّرُ وجهَ الوطنِ الغائبِ فينا
وطنًا (حُلوًا) يَغفرُ شِعْرَ الزَّلَةِ..
ذاتَ شتاءْ:
أشعَلْنا نارًا للضَّيفِ..
غَريبٌ مَرَّ على الموقدِ أطفأهُ

دَلقَ الدَّلّةَ
والبُنَّ المفعَمَ بالهيلِ
تَوَسَّدَ صَدْرَ مضافتنا
أنزَلَ فانوسَ الدّهشةِ من لَيلَتِه
سَرَّبَ زيتَ السَّنوات
وكَسَّرَ موّالَ الصَّبرِ على جُرحِ أغانينا
قَطَّعَ وَتَرَ الحلمِ الشّاهدِ غُربتنا
قَطَّعنا
ومضى في حالِ سبيلٍ.. لا تُرهبُهُ قتلانا

للصُّدفة أصحابٌ
ذئبٌ جائعُ يطلبنا للثّأرِ ويَنْسانا
لا يمنحُنا الغزو
سوى وطنٍ يتعثَّرُ في خارطةِ الدمِّ
وأعصابِ الذّكرى.
فانهضْ من حُضنِ امرأةِ الثَّلجِ غَضى
لنطوّفَ في البلدانِ
نفتّشُ عن وطنٍ في المَسْرى!

يا شيخُ..
وهل وطن في المسرى؟

هذا دَمنا ..
دَمنا فى عَينِ الله
نلطِّخُ جدرانَ سَماواتٍ لا تنظرُنا
فكأنّا ليل خطيئتَها
وكأنَّ الله تناسانا .

مفتتح لخاتمة البكاء

عُدنا نُلَملمُ ما تبقّى من جِراحِ
الأمسِ، نَفْتَتِحُ القَصيدةَ مَطلَعًا
نَنسى عَليهِ صُراخَنا وبُكاءَنا
ونُطِلُ من تَعبٍ لِخاتمةِ العَناءْ.

أفُقٌ لنا..
والبَحرُ أجملُ من كَلامِ الحُبِ
يَسكبُهُ لِعاشقةٍ عَشيقٌ والسَّماءْ.
أَحلى من الأَسماءِ
يَخلقُها على عَبثٍ شَقاءْ.

لا شيءَ يفصلُ بينَنا وَغناءَنا
إلا قصيدتنا الأخيرة والبُكاء المرّ
تقذفُنا البلادُ إلى البلادِ إلى
مَحَطَةِ نَفينا الأُولى فَنرتَجِلُ الغناءْ.

عُدنا لنفتتحَ القصيدةَ مَطلعًا حُرًا
نُدوْزِنهُ، ونَنسى فوقَهُ جَسَداً مِنَ الكَلماتِ
نَمضى للبلادِ مُعَبَّئينَ بقصَّة
لكنّما ذَهَبُ السُّكوتِ يَخونُنا
وَالبَحرُ يَسرِقُهُ المَساءْ.

فى الليل نَعبرُ - هَكذا -
لا فضةٌ فى الصَّوتِ تَصهَرُ صَمتَنا
لا شِعْرُ فى رَحِم القَصائدِ
لا جِهاتُ، ولا سَماءْ.

أَسماؤُنا.. أَسمالُنا الأُولى
نُعَلِّقُها على عُمُرٍ تُلَوِّثُهُ الزّيوتُ
فَنَمتَشقْ خِرَقًا، وَنَرفَعُها..
وَنرفَعُ قَهرَنا هَرَمًا، وَنَنتَظِرُ الهَباءْ.

وَنُطلُّ في وَجْهِ البِلادِ.. تَغَيَّرَتْ؟!!
تُهْنا بِألفِ غريبةٍ
صحْنا وَقَد صَدأ الصَدى، ويَخونُنا
بَطَلُ الحِكايةِ حَيثُما وَطئتْ بدايَتُنا النِّهايَةَ
مَن نَكونُ؟ وَمَن تَكونُ؟
تَغَيَّرتْ..
لا صُبحُ في غَبَشِ الصَّباحِ يُضيئُنا
فَيُضيئُنا سِرٌّ نُخَبِّئُهُ، وَيَفضَحُهُ البُكاءْ.

هَل نَحنُ مِن هذا المَكانِ كما نُريدُ؟
كَما يُريدُ؟
فَنَحتَفي بالأَزرَقِ المَغسولِ من تَعبٍ
يُمَسِّحُ شاطِئيهِ ويَرْتَعِشْ بَحراً بِمُنتَصفِ الشِّتاءْ.

أَم نَحنُ خِدعَتُها الجَميلة
أَخرَجَتنا من مَتاهَةِ صَمتِنا للصَّمتِ
يَشفَعُ بَعضُنا للبَعضِ
لا نَلِجُ الحُروبَ مَخافَةَ القَتلِ الجَماعيِّ
البَطيءِ، الرِّخْوِ،
لا للسِّلمِ تُسلِمُنا الدِّماءْ.

عُدنا نُلَملِمُ جُرحَنا لُغةً
فتَنفَجِرُ القَصِيدَة.. من نَكونُ؟ ومن تَكونُ؟
تَغَيَّرتْ، وتَغَيَّرتْ عنّا كَثيراً
لَم يَعُدْ أبناؤُها إخوانَنا
ونساؤُها أَخَواتنا
نَحنُ الّذينَ تَمَرَّغوا بالصَّبرِ والتاريخِ فَرطَ مَهابةٍ
لا شَيءَ يُشبِهنا سِوى رَملٍ وَماءْ.

لُغَةٌ نُلَملِمُها رُؤىً للنَّزفِ
بينَ مَدينتَينِ صَغيرتَينِ تُحارِبانِ بَقاءَنا
وَغناءَنا، فَنلوذُ من عَطَشٍ إلى عَطَشٍ
مِن الصَّحراءِ للصَّحراءِ نَحتَرِفُ البُكاءْ.

عِندَ الرَّحيلِ الصَّعبِ، نَترُكُ صورَةً عَنّا
صَدى يَتلو مَجاعتنا لأرضٍ تَحتَرِفُ نَفيًا
فَنَحتَرِفُ البَقاءْ.

كُنّا ذَريعةَ مَن أَطَلّوا
شُرفَةً للقَتلِ فَوقَ ظِلالنا
أُفُقٌ لَنا..

وَلَكُمْ قُصورَكُمُ الّتى لَو دامَ مَرمَرُها
لما احْتَفَلَتْ بنرجسِها الدُّمى
أُفُقٌ لنا..
وَلكُم مَعاركُكمْ هُنا
وَلكُم مَقابرُكمْ هُنا
وَلكُم حَديدُكمُ الإلهْ..
وَلَنا إلهٌ واحِدٌ يَهَبُ الصَّفاءْ.

أفُقٌ لَنا..
مِن أىِّ ناحِيَةٍ سَينطَلِقُ الرَّصاصْ؟
فى أىِّ زاويَةٍ سَيَختَبِئُ الخَرابُ
تَفَجَّرَتْ أَصواتُنا عَبَثَ ارْتِطامٍ فى الفَراغِ
نُلَملِمُ الأعوامَ إرثًا للخَلاصْ.
أوَكُلَّما جُعْنا نَذَرْنا طِفلَنا المَوهوبَ ألسِنَةَ الفِداءْ؟

من أىِّ ناحيَة سَينطَلِقُ الرَّصاصُ؟
ولَيس ثَمَّةَ رَجعَة لِمَدينَة إنْ أفْرَزَتها الحَربُ
عاهرَةً تُسَرِّحُ شَعرَها للغَزْوِ، أىُّ مَدينَةٍ
خَطًّا سَيمْنَحُها الجَحيمُ حَياتَها الأُخرى
فَتَحتَفِلُ النِّساءْ.

لا شَيءَ أَقْسى مِن حَريقِ الدّارِ
إلا رَقصة المُحتَلِّ فوق حَريقنا
لا شَيءَ يُنجي مِن خُطى الطّوفان
إلا لَهفَة السُّفان، لَمْلَمْنا الهَدايا كُلَّها
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَتَيْنِ..
فأرْجَأتْ سَفَراً سَماءْ.

مِن أيِّ زاويةٍ نَفِرُّ من الرَّصاصِ؟
سَنلتَقي والمَوتَ، ثَمَّ رَصاصَةٌ
أُخرى مِنَ المَجهولِ تَختَطِفُ الرَّجاءْ.

أُفُقٌ لَنا..
ولَنا نهايَتُنا الأكيدَةُ
إنَّما أُفُقٌ لَنا رَحْبٌ يُزَيِّنُ ما يَشاءْ.

الريح وخوف الهارب فى الليل

(١)

الرِّيحُ ، وَخَوفُ الهارِبِ فى اللّيلِ
أيا كُلَّ العُشّاقْ
ماذا أَبقَيتَ لمَريمَ غيرَ الجُوعِ
وَهذا السُّكرُ بِعَينَينِ سَماوِيَّينِ
أتَهرُبْ ؟!
هل تَكشِفُ ظَهراً ؟
عارٍ
تُشرِعُ أَبوابَكَ للرِّيحِ
لعَيْنَيْنِ صَغيرَينِ يَجُسّانِ طُفولَتكَ البَيضاءَ

ولا صاحبُ
لا امرأةٌ
لا شيءَ يشُدُّكَ للخَلف
تُشَيِّدُ وَهمًا من وَطَنِ الرُّحَّلِ
من حَدو نَشيدِهم الغازى
كَیْ ترحَلَ أبعدَ من هجراتِ القَيظِ
وَمنْ وَطَنٍ يَشتَعِلُ.

تَمضى..
لا إرثًا تَحملُ
لا زادًا من تَعَبِ الرِّحلَةِ
لا ورَقًا سَيَدُلُّ عَليكَ
فما كان أبوكَ أباكَ
عَلى صَدْرِ وَثيقَتكَ البَلهاء. وَلا اسْمُكْ
غَيرَ اسمٍ لَيس يُطابقَكَ، ولا شَهرُ الميلادْ،
لا فَحصُ الدَّمِ يَدُلُّ عَليكَ
فأنتَ سواكَ بلا وَرَقٍ
يا اسْمًا سَهلاً للتَّزويرِ
ويا وَطَنًا لا يَصلُ.
فى العَتمَة تَخرُجُ يا ثَملاً
يا كلَّ العُشّاقْ

العَتمةُ أقسى ما كانَ
وآخرُ هذا الجِسرِ فُراقْ
أوّلُ هَذا الجِسرِ فُراقْ.

يا سِرّاً..
تَغويكَ الصَّحراءُ
- كَجَدٍّ أَبيكْ -
يا عَبَثًا فى هذا العَبَثِ الرَّمْلىِّ
تَجوعُ لِضحكَةِ مَريَمَ
خصلَةِ مَريَمَ
يا مريَمُ حينَ تَنامينْ..
يَشتَدُّ اللّيلُ عَلى شَطّينِ سَماويّيْنِ
وتَنهَشُ فى طينِ اللهِ الغرْبانُ.

يَشتَدُّ اللّيلُ
فَتَغفو فى حُضنِ مَواويلِ القَمَرِ المَحبوسِ
وتَحلُمُ بالأنْهارِ
تَهُزُّ بِجذعِ النَّخلَةِ..
أنّى لَكِ يا مريَم حُلُمٌ كالأطفالِ صَغيراً

تَبكى..

تَبكى فى اللّيلِ فَتَنْهَدُّ الأَكوانُ.
يا سراً
يا كُلَّ العُشاق
أولُ هذا الجسرِ فُراقْ.

من وَجْدِ دكاكينِ الغُربَةِ
ظلَّ الْحورِ اليابسِ ظَلَّ سياجًا
بينَ الرُّوحِ وجوعِ القدَمِ المَحمومَةِ
هَل تَبدأُ خطوتَكَ الآنَ وحيداً
مِن أوّلِ هذا القوسِ إِلى آخرِه
من آخرِه
الرِّيحُ تَدلُّ الرّوحَ
تَدُكُّ الرّوحَ
وثقبان سماويانِ يَشيرانِ إِلَيكَ
إليكَ يُشيرانِ
فَتَخنقُ صَوتَكَ فى صَيفِ اللهِ
... وتَنتَظِرُ

(٢)

فى الزَّمنِ الموحشِ
تَنكَسِرُ سَماءُ الرَّغبةِ

هَل تَفضَحُ رائحَة الظِّلِّ خَبايا السِّرِّ؟
وَهَل كانَ التّاريخُ مُزَوّر؟
يا هجرَةَ كُلِّ العُشّاق
عَصافيركَ في البَردِ عَليلَة.
وَالمأوى / الشَّجرُ العارى يَرتَجِفُ.

تُشبهُ هذى الصَّحراءَ وتَختَلفُ
وَكجَدٍّ أَبيكَ
تَتوهُ بهذا العَبَث الرَّمليِّ
تُفتِّشُ عَن وَطَنٍ يَحملُه الأمسُ.

مَكسوراً..
حَينَ تَعودُ لأوَّلِ ربعٍ
لا ظلٌّ فى ظلِّكَ
لا قافلَةٌ يوقفُها الحُلمُ
وَلا مَلِكٌ يَحلُمُ فى سُنبُلَةٍ

لا امرأَةٌ تُغريكَ / تُراودُكَ / تُصَلِّى بِاسمكَ
لا قَمَرٌ يَسقُطُ بينَ ذِراعَيكَ
وَلا شَمسُ.

مِن قاعِ البئرِ ستخرُجُ وَحشيّ الرَّغبَةِ
وَحشيّ اللّغَة الآن.. وتَخرج
من كُلّ التاريخِ إلى كلّ التاريخ.. وَتَخرُجْ
من ذُلّ مَسافات الطِّينِ وَماءِ الوَحشَة
- يَرشُقُ وَجهَ الهاجِعِ في اللّيلِ -
وَتَخرُج..

من عُمقِ الأَرضِ
لتَسقُطَ في الأَرضِ نَظيفًا من كُلِّ الأَوزارِ
فَلا تملكُ إلاّ أن تَبقى وِزرا

يا سِرًا.. يا سِرّا
الرّيحُ تدُكُّ الرّوحَ
تَدُكُّ الرّوحَ
وَيَحتَلُّ فَضاؤُكَ بارودُ الحَربِ
... أثانِيَةً تَنكَسِرُ؟

(٣)

الرّيحُ، وَخَوفُ الهارِبِ في اللّيلِ
وَجوعُ الإنسانِ الأوّلِ
لَمْلَمنا أكوانًا
أهدَرَها قابيلُ برأسِ أخيهِ

وَأَهدَرَنا ..
نَهوى كى تَعبُرَ كلُّ جُيوشِ الرِّدَّةِ
نَدخُلُ ثانيَةً فى (الطَّفِ)
وَلا شَىءَ يُوارينا.

لَمْلَمنا أياماً
يَسْلَخُها الجَلاّدونَ عَلى أبوابِ أمانينا.

يا أولَ نَبضِ الشُّعَراءِ جُنونا.

مَحموماً تَخرُجُ ..
مَحمولاً بالوَحشَةِ مِن قَريَتِنا
من بَوّابَةِ مَنفىً بارِد
للصَّلبِ على أعوادِ مَراثينا.

لا يَذكُرنا أهلٌ حينَ نَغيبُ
وَلا لُغَةٌ تُحيينا.
فى الزَّمَنِ الطّوفان
رَكبنا البَحرَ / عَلَونا ..
- لا عَاصِمَ إلاّ الله -
وَحَرَّرَ نوحٌ أبياتَ الحِكمةِ
- عَلّمنا ..

هَل يَصحو اللَّيلُ المُطبِقُ
من أولِ هذا العَتمِ إلى العَتمِ نَهارا ؟
هَل نَسدُلُ عَن تاريخِ القَمعِ الأُمَوِيِّ سِتارا ؟

وقُرَيشٌ تَخرُجُ في زينَتِها
تَستَقبِلُ عِطرَ الشَّامِ / التِّينْ . .
- [أَحَدٌ . . أَحَدْ]

يا مَريَمُ حينَ تَنامينْ . .
- [أَحَدٌ . . أَحَدْ]

مازالَ هُناكَ مَكانٌ للبَوحِ . .
ارْجِعْ
كَم مَرَّ غُزاةٌ من حَولِكَ
كَم سَرَقوا الصُّبحَ
أعادوا اللاّتَ لعُزَّى
سَرَقوا البَحرَ
أعادونا مَلِكًا مَخموراً وسَبايا

تَرجمُكَ الحَربُ /
الغولُ الرَّابِضُ فوقَ رَصيفِ النّارِ
يُحَرِّقُ أثوابَ سَماواتٍ لا تَعرِفُنا

يَتدلىّ كَفٌّ الفاتِحِ
مَسمومًا يَترُكُ خِنجَرَهُ فى ذاكرةِ الجوعِ حِصارا .

مازالَ هُناكَ مَكانٌ للبَوحِ

ارجِع
وتَوَسَّدْ كُلَّ الهَمِّ الحُلوِ
وَرَتِّبْ أَشلاءَكَ للصَّبرِ سِنينا .

يا لَيلُ تَمُرُّ سُكونا
قَد تَعِبَ الكُلُّ وَأَمسَيتُ بِجَنبِ الرَّأسِ
أَمُدُّ بِساطَ الدَّمعِ
وَأَسرِقُ من قَمَرٍ بَعضَ مَعانٍ
أُلقِمُها الشِّعرَ
- وَأَنتِ بَعيدَةُ -
كُرّاسى فَوقَ الرَّفِّ مُمَزَّقُ ، وَالأَسماءْ
أَسمالٌ لا نَخلَعُها ، وَأَماسينا

طَفَّ الطوفان
نَبيذُ سُؤالك يُسْكِرُنى
- مَن يَسكُرُ قبلَ الآخَرِ ؟
قُلتُ رَحيلى قبلَ اليَومِ
وَقُلتِ :

- نَعبُرُ هذا البَحرَ إلى آخره
البَحرَ إلى أوّله
البحرَ..
ويَرتَطِمُ المَوجُ بأوّلِ صَخرَةِ لُقيا.

- مَن يَسكرُ قبلَ الآخَرِ؟

قُلنا:
نَعبُرُ هذى الأَرضَ إلى أوّلِها
الأرضَ إلى آخرِها
الأرضَ / الدُّنيا.
فَهناكَ زَمانٌ..
خَلفَ الزَّمنِ / القَمعِ / السُّكرِ الأُمّيِّ
نَقاؤكِ ما بَينَ نَقيضِ الرّؤيَةِ والرّؤيا.

الرّيحُ تَدلُّ الرّوحَ
تدلُّ الرّوحَ
ويَهرُبُ فينا البَحرُ حَزينًا
مُلقىً تَحتَ نوافذِ كُلِّ الغُرَباءِ
... أثانيةً يَنحَسِرُ؟

٢- سفر يوسف

I. لا تقصص رؤياك

لا تقصصْ رؤياكَ.. أو ارحلْ!
صمتكَ سفنٌ للريح وكلبُ الميناءْ
يشتمُ براءَتكَ البيضاءَ
ويعرفُ..
أن كواكبَ بلهاءَ تزورك كل مساءٍ
وتصلى تحت نوافذكَ العشرِ،
ونافذةٌ للبحر مشرَعةٌ..
يوقظكَ الموجُ الهادر فى قوقعةٍ تحتَ وسادتك القطنِ
وكلبٌ يعوى..
يعرفُ أنّ إلهًا منفيًا من عالمه يتهجّدُ باسمكْ
يتمسّحُ فى ذيلِ عباءة ظلكَ

يهبطُ سابعَ نومٍ إلا الحلمَ
ويمسحُ طينَ التّعبِ اليومي بحارات المعراجِ الأوّلِ عن وجهكَ،
ثم يسافرُ خلفَ فراشاتِ الرّكضِ وماءِ الصُّبحِ، فتدركهُ الشّمسُ، يعودُ!

يرجعُ سابعَ حلمٍ إلا النومَ
وأنت بلادٌ لا تشبه أمسكَ
مدنٌ تحزمُ ليلَ حقائبها
وتيمّمُ شطرَ امرأةٍ تكشفُ نهديها
فتحتالُ.. ويحتالُ.

II. غيابات أولى

بدمٍ كذبٍ..
وحكايا زورٍ كوجوهِ الناسِ أمرٌ غريبًا
- مثلكَ -
في الشّامِ ومصرَ
وفي بلدٍ لا يحضنني فرحًا أو يبكي لغيابي.

كمواعيدٍ باهتةٍ..
أُشعل صدري تبغًا
أحلمُ في صدرٍ يُشعلُ فيَّ الشّعْرَ
وأدخلُ من أبوابٍ شتى

لا حاجةَ
إلا أن أحتكّ بجدرانِ الخيبةِ
أو أتلصَّصَ من شبّاك الناسِ على أطفالٍ
حول عجوزٍ تحكي عن طفلٍ غابَ سنينًا فى الجُبّ
وأمضى فى اللذّة ثملاً
لا أدخلُ بئر حكايتها !
أنظرُ عن بعد
يكفينى سُكرُ امرأةٍ تلتمُّ بكفىَ خِصْرًا يختصرُ العالَمَ
يكفينى حزنُ صديقٍ أشربُ نخبَ قصائده
يكفينى وجهكَ ينقرُ شبّاكَ الوحدة عُصفورًا ويناديني :
(بابا !!)
....
لا بابىَ يطرقُهُ صخَبُ العودةِ
إخوتُنا يَنْسَوْنَ أُخوَّتَنا فى أولِ قافلةٍ..
أسألنى :
- كمواعيدِ قطارٍ لا يأتى -
هل يحسدنى الناسُ على سفرى
أم يفضحنى ناسُ غيابى ؟!

ii

لا وجهكَ ينقرُ شبّاكي
أذرعُ هذا البيتَ الفارغَ
أصرخُ في الجدرانِ لئلا أفقدَ صوتي
أتعثّرُ بالصمت
أتهجّى الكلماتِ الأولى
أنزع عني جسدي..
صدأ السنواتِ
أشفُّ من اللا ذنب
وأسمعُ ضجّة أطفالِ إلهٍ يلهونَ بحضنِ سريركَ
أفتح أزرارَ قميصي
أشتمُّ قميصكَ
يشتعلُ الشَّيبُ برأسي..

نافذةٌ للبحر مشرّعةٌ في وجهِ جنوبِ الله
وفارغةٌ حجرتكَ الآن
وملقاةٌ في العتمةِ
- إلا من نورٍ في إثركَ -
أدويةُ الرّبو /
الألعابُ /

الصّورُ/
الألوانُ/
الذّكرى/

وصناديقُ هدايا فارغةٌ..
إلا من طعمِ يديكْ
اشتقت إليكَ
ابيضتْ عيناىَ وخانتنى طرقى.

III. مزامير يعقوبية

يا ربَّ يعقوبَ ؛ المدائنُ غلَّقت أبوابَها
خَلَعتْ مواسم نذرِها لونينِ محترقينِ
يَحتفلُ الرَّمادُ عليهما ، من كلٍّ شاردةٍ
وإن تحتالُ ،
طاغيتينِ يفترسان مهدَ الأرضِ ،
فاسدةٌ هي الحربُ ،
المدائنُ غلَّقتْ أبوابَها
من كلِّ فجٍ
من مواعيدِ الّذين استُضعِفوا
من ماءِ عفَّتِهمْ .
مَددتُ يدي

.. بيضاءَ فاحترقَ المساءُ بذئبه.
يا ربَّ يعقوبَ؛ المدائنُ غلّقت وجهَ السَّماءِ
بأيِّ بوصلةٍ أدلُّ عليكَ
تنفرطُ الجهاتُ خطيئةً
كم ربٍّ..
يا ربّ، غيركَ يقلبُ الأبعادَ
يقذفُ صورةً في شكٍّ أخرى
يحشرُ المدنَ احتمالَ قيامةٍ
ربٌّ يهذّبنا.. يرتّبنا طوابيراً
ويشطرنا إلى نصفينِ.. يجمعنا
ويُسكننا جنونَ مدينةٍ مصقولةٍ ثلجًا
يخبّئنا بعنقِ زجاجةٍ دوريةٍ

ربٌّ يباغتنا

...

مددتُ إليكَ.. صحراءٌ يدايَ
وليلُ شبّاكي بلا قمرٍ يرفُّ
كشرفةِ السّيابِ.. كالنَّخلِ الجرَّحِ
كالعيونِ.. كرجَّةِ المجدافِ
أبتكرُ الغياب قصيدةً مشفوعةً بالنَّصلِ
والمدنِ البعيدة.

ii

السرُّ..

يُوَشوِشُ عصفورٌ صاحبهُ ذاتَ نخيلٍ، أو تهمسُ نرجسةٌ بشذاها، أو أفتحُ أوَّلَ صبحٍ شبّاكي لبعيدٍ أوَّلَ يسكنني منذ السنبلة الأولى، منذ عَريشٍ يَسّاقَطُ ذكرى في اللّيل / جنون امرأةٍ دَسَّتْ جنّيًا في ركنِ الشّهوة / منذ خطيئتنا / منذ الإسفلتِ / الشّجِّ الأوَّل تحت الحاجبِ / أوَّل دمٍ / منذ الصَّخرةِ / منذ الكأسِ الأولى / منذ الحرفِ / اللّوحِ / الأسماءِ الأولى / منذ الأجداد يخونونَ الأرضَ / المنبت / منذ الرحلةِ / أوَّل صيدٍ / منذ النّبلِ الأوَّل، عصفورٌ وَشْوَشَ صاحبهُ / منذ الوردةِ والصَّبارِ الفاسدِ / منذ البحرِ يخبِّئُ أزرقه لشتاءٍ أوَّل / منذ القلقِ / الرِّيحِ / الماءِ / الطِّين الأوَّل.

يا طينُ..

ياطينُ...

iii

أمدُّ إليكَ

ويفرشني وَجَعي في انتظارِ يَديكَ

أنا الواحدُ، الفردُ

محترقًا بغيابكْ.

أَفضُّ المدى للبعيد
كأوسعِ ما يستَحقُّ الغيابُ
تضيقُ العبارة في صرختينِ
وأنسى عتابكْ.

***

دمي خنجرٌ على صـمتِ بابكْ.

IV. ذاكرة الماء والطين

على قلقِ القصيدةِ واقفٌ

– والرّيحَ –

لي جَسدٌ يفرُّ الآنَ منْ جَسدى إلى ما ليسَ أعرفُ، واحداً أرمى إذا عبثًا رَميتُ أُعيدُ كرّةَ عابرٍ / صحراؤه البكرُ / المسافة كلّها، أقداحُهُ: النّاهي؛ ولِي زَهْرُ الفُجاءَةِ، شَهوةُ الصّحراءِ، لا قدمٌ تدلُّ ولا دليلٌ؛ واقفًا والرّيحَ.. (لِي من دونكم أهلونَ سيدٌ..) كلّما نَشبوا بعتمٍ فَجّهُ قمرٌ، ولِي قمرٌ هُنا / فِي ذمّة السَّفَرِ احتفلتُ بلا صديقٍ، بالنّهايات التي لا تنتهي... لي أوّلُ الصحراءِ، لي قَدَمُ السُّدى، ما يسرق العُصفورُ من عَطَشَيْنِ، لِي مَوْتٌ يُؤَجّلني إلى موتٍ ولي من إخوتي ما يُخطِئُ الذّئبُ الفريسَةَ.. لي مَساؤهمُ الأَخيرُ مبوى عشاءٍ فاسدٍ ودَمٍ يخونْ...

واقفًا وحدى
أُطلُّ على متاعى خاليًا
وَهُناكَ وَحدكَ
بَيننا وَجَعُ القَصيدةِ
والمسافةُ بَيْنَنَا
غَبَشٌ وَماءٌ /
إخوةٌ قاسونَ /
بئرٌ لا تمرُّ بِه الرَّواحِلُ صُدفةً..
لي مِن حُضورِكَ سَهوةُ الغُرباءْ.

بأنَّ الأرضَ أوَّلُ ذَنبنا
لي منكَ نافلَةٌ /
ومحرابُ التَّراتيلِ القَديمَةِ /
لي كتابُ الخَتمَةِ الأولى /
وَحِرزُ اللهِ فى كَتِفِ المدى /
لي صَخرتى /
اسمى الذى ضَيَّعْتُ /
لي ما كنتُ قد خَلَّفْتُ
من بحرٍ، ونافذَة..
ولي ما ليسَ أَعرِفُ
بيننا وَرَقٌ مُزَوَّرُ /
لَعنةُ الماضينَ /

حاضِرةُ الأسى /
جَيشانِ يَنْتَهِكانِ صَحْوَ صَباحِنا /
لُغَةٌ يُضَيِّعُها المساءْ.

..

واقفًا
لا شيءَ يُفْضِى منكَ متُقدًا إليكَ سواكَ
تحتَلُّ الجِهاتِ عَلَىَّ يا وَجهى الّذى ضَيَّعتُ
يا تَعَبى..
عَلى قَلَقِ القَصيدَةِ واقفاً
طِينٌ وَماءْ.

ii

هَل تَذكُرنى يا وَجْهى؟!
لم نعرِفْ كَيفَ قَضينا هَذا العُمرَ
وَكَم أمضَينا يا وَجْهى فى المرآةِ؟
كَبُرنا؟!!
هَل أنْتَ أنا؟
تُشْبِهُنى أَنْتَ تمامًا بَعدَ سِنينٍ عَشْرٍ،

هَل أنتَ كَبُرتَ كثيراً؟

أمْ أنّي لمَ أعْرِفني يا وجهي اللاَّ يُشبهني في المرآةْ.
في هذا الماء تُراودُني عَن وجَعي
نصْفُكَ نِصْفي وِالآخَرُ ذاكِرَةٌ مجنونةْ.

هَل أنتَ أنا؟
يَتدلّى خَيطُكَ في رَأسي
مَنْ أَشْعَلَ فانوسَ بَياضٍ؟
مَنْ أَشْعَلَني مِن ذاكِرَتي طِفْلَ جُنونٍ
وأَغانِيَ مَلعونةْ.

أَخْرِجْني مِنكَ أَو اخْرُجْ منّي
يا وجهي في مرآةِ الماءِ
ويا وَجَعي
قُلتُ: كَبُرنا؟!
وتَخالَفْنا
أَنْتَ تُراوِغُ جُرْحكَ ذئْبًا وأنا أنْتَظِرُ اللاَّ يأْتي
خَلْفي تَعْوي الغُرْبَةُ كَلْبًا أجْرَبَ في الميناءِ
يُفَتِّشُ حاجاتِ النّاسِ
ويَشْتِمُ على قَلَقٍ خَوْفي

....
خَلْفي لُغَةٌ هاوِيَةٌ
وأَمامي ذاكِرةٌ ماءْ

٧. خطيئتان بيد واحدة

أُرتِّبُ هذا المدى..
وأفْتَتِحُ المشهدَ البِكرَ مُتّكِئًا فوقَ صَخرِ الكَلامِ على حَجَرٍ لا يَئِنّ
أُمسِّدُ بَوحَ الصّدى
صَرختينِ
وأسْقطُ من حافّةِ الموت للحافّةِ الموت
أحملُ وَجهي عِثارَ سُؤالينِ يا قَدَمَ الزَّلة/ الطّينِ. بينَ يَدَىَّ الخطيئةُ/ سَهمُ المقاديرِ/ والفتنةُ البِكر/ شاةُ الضّحيّةِ/ نَزْفُ القَميصِ المُمزّقِ من حِدّةِ الصّوتِ
والوَحيِ
والطَّلْقةِ الجاهلةْ.

أُرتِّبُ هذا الغيابَ
وَأرحَلُ وَحدى إلى امرأةٍ هرَّبتنى إلى عِطرِها

....

لا تخافى...
سَتحملنى من غَيابَةِ بئرٍ إلى صَدركِ القافلةْ.

أراقبُ خَوفى بِلادًا تُعشّشُ فى الجُبِّ صَبرًا
يَمرُّ بِه الظّامئونَ
وتُلقى عَليه حِجارتُها السّابلةْ.

ii

يُراقِبُ خَوفكَ..
عَيناهُ كفانوسٍ تُشعلهُ الرُّؤيا - بُقيا ما سَرَّبهُ الله - ويكْشفُ عن جُدرانِ البئرِ بَقايا نَقشٍ لصُخورٍ، وبلادٍ يَطمرها الطُّوفانُ، قبائلَ تقتتلُ الآن على مَرمى سَيفٍ، أَسْماءٍ/ أسْمالٍ ليسَ تدلُّ على شيءٍ ونساءٍ شبه عرايا، وعجائزَ تحتَ عصائبهن بلاد تغمرُها الفَوضى، ريحٍ صَرصَرَ، عجلٍ مَربوطٍ فى ساقيةٍ مُنذُ الطُّوفان، ثلاثة أجناسِ قُرودٍ، وبَقايا تمساحٍ، سُفنٍ، ورجالٍ مَهزومينَ يَفُتُّونَ على دكّاتِ بُيوتِهِم الوقتَ، تَهُزُّ الرّيحُ فتيلَ النّارِ فيلمعُ سيفٌ فى زَاويَةِ الدّهرِ يجُزُّ قَطيعَ نخيلٍ من أعلى قَمرٍ مثلومٍ، وخُيولٍ تحتلُّ الزّمنَ السالفَ...

...

ذئبٌ عَيناهُ كفانوسٍ، يَرفعُ حاجبَهُ عن شَذَراتٍ خَضراءَ، ويهربُ إن حَدَّقَ فى عَيْنَيهِ الجنُّ الأَمْرَدُ فى عَطَشِ الصَّحراءْ..

- مَنْ ألقاكَ هُنا؟!

- ضَوءٌ راوَدَنى عن سِربِ سَماواتٍ أولى / ونساءٍ من ذَهَبٍ صِرفٍ / أطفالٍ شِبهِ اللَّهْفةِ، لا تُمْسِكُنى جِهَةٌ فالهُوَّةُ ذاكرةٌ وجِهاتُ.

(يسْعَلُ...)

- هَذا دَمُكَ المَهدورُ عَلى نابى يَطْلبُنى للثَّأْرِ، ويَنْهَرُنى المَوْتى، أركُضُ خَلْفَ قِطاراتِ الجُوعِ ويَسْبِقُنى شَبَحى، يَحْزِمُ أَمْتعَةَ النِّسيانِ ويَركَبُ أوَّلَ حافلةٍ، أَلمحُ وَجهى خَلْفى يَتَلصَّصُ، علَّ امرأةً تَمْنَحُنى من غُرْبَتِها قُرْصَ حنينٍ...

- مُوصَدَةٌ أبوابُ الغُرَباءْ.

- ولماذا وَحْدكَ فى العَتْمة؟

- خَبَّأنى حَدَسى من سِكّينٍ يَلمَعُ فى وَجهِ أخى.

- هَلْ نَخرُجُ؟

- أَحفُرُ بِئْرى لِسَماءٍ زَرقاءَ، فَراشاتِ صَباحٍ أبيضَ، لَمْلَمْتُ مَلائكَتى فى قَلبِ يَقينى، خَبَّأتُ البَحْرَ بكُمِّ قَميصى..

....

- وَالأَصْحابْ؟

- قالوا نُرسِلُ خَلفَكَ صِوراً ودُخانْ!!
- وأنا؟
- تَخْرُجُ عَمّا قافلةٍ
- أَرْجِعُ؟
- تَنْسى..

مِثلَ نَبيٍّ يفتحُ بينَ يَدَيْهِ الناسُ مدائنهم.
أَو تُفْتَنُ فيكَ امرأةٌ
أَو تَغتالُكَ حَربٌ بارِدَةٌ لا يَلْتَحِمُ الجَيْشان بها
بارِدَةٌ..
كالبئرِ،
كنُقوشِ الأَسْلافِ على حَجَرٍ بارِدْ،
كالنّاسِ،
كَوَعْدٍ بارِدْ.

VI. خروج

تخْرُجُ للفكرة ذئبًا

صَدْرُكَ يَعلو رُغمَ الرَّبوِ، وليسَ يَقيكَ منَ البَرْدِ قَميصٌ، تَعرِفُ أنَّكَ تَترُكُ فى رُكنِ الغُرفَةِ قَلبًا مَكسوراً لا يَملِكُ من غُربتهِ إلاّ أنْ يَقذفهُ الشِّعْرُ لآخِرِ بَيتٍ يَفتحهُ وَجْهُكَ؛ يا وجهَكَ في ليْلِ قَصيدتَه، يا... هل تَعرفُ كم جُرحًا تَفتحُ فيكَ قَصيدتُهُ؟.. يَكبرُ فوقَ جدارٍ يَسندهُ مُنذ ثَلاثة أجيالٍ وتُكَبِّرُ فى أُذُنيه الوحدَةُ، يَنْسى كَم خَطٌّ عَلى الحائط، كَم خَرْبَشَ كالأَطفال؛ يعدُّ..

يَبْسطُ كَفًّا شَطَّبَها الطُّبْشورُ المالِحُ

(واحدْ

اثنانْ

....

عَشرة)
يُعجزُهُ الغَدُ

يَخرجُ للفكرةَ مُدْمَى الرَّغباتِ
وَتعرفُ أنَّكَ تَصعَدُ أوّلَ قافلة
وَجهُكَ قطعةُ خَوف ، وَتُخَلِّفُ شَبحًا فى الرُّكنِ تُقلِّبهُ الرِّيحُ جُنونًا
يَرسمُ مَوتًا أبيضَ لا يُشبِهُ أرضًا أولى
وأمامكَ كونٌ آخَرُ
لُغةٌ أُخرى
ألفُ طريقٍ للمَوت
ولا صاحبَ غَيرُ وُجوهٍ باردَةٍ
تَعرِفُ ظلّكَ من وِحدتهِ
من لَيْلِ مَلامحِهِ
من قَدَحِ القَهوَةِ
من طاوِلَةٍ يَسكنُها مَلَلٌ وَجَرائدُ
من أوراقٍ مُهملةٍ

يَعرِفُكَ المشّاؤونَ /
وأطفالُ اللَّعبِ اليَوْميِّ /
عَجائزُ شايِ الصُّبحِ /
وَثَرثَرةُ الجيرانِ /

الشَارعُ...

- لا تَدرى هل تَحْمِلُهُ/

.. يَحْمِلُكَ -

تُقَطِّعُ جِلْدَ حذائينِ بعامٍ واحدْ

تَنْسى كَم قَطَّعتَ

تَعدُّ...

....

....

يَخونُ العَدُّ

تَرجِعُ للفِكرةِ..

تَعرفُ أنّكَ تَخرجُ مَهزومًا من أوّلِ رَفْضٍ

تَستقبلُ عِطرَ امرأةٍ سَيغطّى صَدركَ بَرْدَ مدائنِها البَيضاء،

ثُمّ تَقُدُّ قَميصكَ من قُبُلٍ وتموتُ برَفْضِكْ.

ii

يُرَتّبونَ رَحلَهمْ..

منْ أىّ بابٍ تَدخلونَ، خَلفكُمْ خِلافُكمْ والبحرُ منْ أمامكمْ. هَذا أنا أشُقُّ فتنةَ السَّماء، أفتحُ القَميصَ ناشِبًا بَياضَهُ، من أىّ بابٍ تَهربونَ بَعضُكمْ يدوسُ بَعضكمْ بحافرِ الهروب عامداً، أمامكمْ حَرائِقٌ والجَيشُ:

- جـذْرُ القَـتلِ / الـقـابـيلُ الأوَّلُ / خـاكيّ المـوتِ الـقـادِمِ من ذُرِّيَّةِ طعنٍ / إعصارُ الموتِ المالحِ / طوفانُ اللا عاصِمَ -

... مِنْ وَرائِكمْ ! !

VII. نافذة للبحر

i

للبحرِ نافذةٌ
أُطلُّ على غيابكَ مرّة أخرى،
تطلُّ على غيابىَ شاهداً
...

المدى؛
فى هدأةِ الطّينىّ متكئٌ على ظلينِ يحتشدانِ
فى ليلِ الغريب.
سبقتُ ظلّى هاربًا
من أمسكَ الضّجرىّ

من شَمسِ الظَّهيرةِ
من مساءٍ خافتِ الأنفاسِ
من ناسِ الخرابِ
من القبائلِ تستبيحُ دمى
وتقدُّ من دُبرٍ قميصَ الرّوح؛
متّشحًا رحيلى، جئتُ من سفرٍ إلى سفرٍ
أُطلُّ على غيابكَ شاهدًا فردًا
وأحبسُ صوتىَ الْمُرَّ اتقاءَ خيانةٍ أُخرى
ويرتفعُ الصَّدى

المدى؛
لَحنانِ متّزنان فى صمت الجنازة. فجأةً
وحدى المشيّعُ والْمُعزّى / الفاقد المفقود
والحَزِنُ، الوحيدُ، الرّاحل، الفردُ، الزّعيمُ
أنا على تاجِ الخسارة.
القاتلُ، المقتولُ واليَقِظُ المرابط
فوقَ صخرةِ قبرِهِ المطمورِ، مُحتشدًا على بعضى
على لَحنينِ مختلفينِ فى بوحِ القصيدةِ
أينما وجَّهتُ وجهى
وجهكَ الطُّفلىُّ يحضننى ويختصر العبارة.

للبحرِ نافذةٌ
أطلُّ كما يطلُّ مسافرٌ في وجهِ ساعتهِ سدىً
مرَّت نوافذهُ القطارُ، أدرْتُ ظهري
لم يكنْ إلا المغامر فيَّ منتبهًا على عكّازتيه
يهشُّ ذكرى عن خيانتها
يقلّبُ طرفه آناءَ تخطفهُ النوافذُ..

المدى؛
ضلعانِ ينكسرانِ عن دربينِ
دربٍ للرَّحيلِ الصَّعبِ نركبه
ودربٍ للقصيدة.

ii

أنا..

كما أنتَ يطغى ماردًا في نزيفِ النّصلِ خوفُكَ، تخطو خلفَ موتكَ شاهدًا، تولاّكَ ليلٌ إثرَ ليلٍ وأرخى صفحتيه المساءُ الصّعبُ، تصحو بلا بلادكَ/ الرَّملُ موبوءٌ بخاتمة لولا نذور السّدى تدُسُّها طفلةٌ في رَحمٍ بئرٍ سحيقِ الذّكرياتِ، يُكَسِّرُ الصدى فوقَ صمتك السّحيقِ جرارًا، كمْ لبثتَ هنا؟ هناك؟ تنتظرُ اللاّ شيءَ سنبلةً تمدُّ كفَّ اليبابِ؛ اخرجْ إلى بلدٍ يلمُّ طرفكَ بُكرةً، كما أنتَ، جُنحًا

يستَبدُّ بكَ الأصيلُ، متَشحًا غيابكَ البِكرَ، يطوى خلفكَ البحرُ معصوبًا بأزْرَقِه- رجْليه من بَللٍ، يسطو عليكَ الخرابُ البِكرُ، يا شبَحى المهيب، حينَ هززْتُ ضلعكَ البارِدَ اسّاقطتَ ثَلجًا على صيفِ الذُهولِ / المدى ضلعانِ ينكسرانِ عن قيامتنا، تمرُّ من قَدَرٍ وتتَّقى قدرًا، قرينُكَ الموت يلهو فوقهُ قدرٌ؛ فاخرجْ منَ الأرضِ تحْملْكَ المواقيتُ خلفَ الأرضِ خارطةً وتستبدُّ بكَ الجهاتُ. تغفو على كفيكَ أسطورةٌ فى مهدها، ربّما يبتاعكَ التاجرُ الأُمىُّ للتاجرِ الأُمىِّ فرطَ هدايا العيدِ، فرطَ قصيدةٍ يخبئها اللَّحنُ العصِىُّ بظلِ ردنكْ.

VIII. نساء الذهب الجاسر

قُلنَ امرأةً تَغويكَ

ملأنَ ثلاثةَ أرباعِ الشَّهوةِ سكّينًا يترصَّدني خلفَ الأبوابِ /
على دَرَجِ اللّيلِ / وراءَ العتمةِ / خَلفَ ستائرَ موتٍ أعمى / في بُرجِ
حَمامِ الصُّبحِ . . .

وأَعدَدْنَ الحفلةَ ، والسّكّينَ الغائرَ في خاصرةِ الفجرِ
أَدَرْنَ الكأسَ وقُلْنَ اخرج ! !

. . . .

. . . .

(أهديك صِواعَ نبيذٍ
أهديكِ أساورَ فرحٍ

وقلائدَ وَردٍ
أُهديكِ الحُلمَ بَنفسجةً يا امرأةً تأخذُني من قلبي لنهاياتٍ لا تُفضي إلا لبلادٍ أولى
أهديكِ بلادي
أُهديكِ المنفى / ذاكرتي / ما أحفظهُ من شعرِ الغزلِ الأوّل، كيفَ وَصَلْتِ إليَّ مُطعّمةً بالسُّكَّرِ وندى الصُّبح، أُخبِّئُ عنكِ شَراهَةَ ذئبٍ علّمني أنَّ التّينَ بصدركِ لا يُهمَلُ أَو أنّ قَميصًا لا يَنْزَرُّ على تُفاحٍ يَهدمني أوّل هذا الليلْ
أهديكِ اللّيلْ
قَمَرًا ومواويل)

....

ونِساءُ الذَّهبِ الجاسرِ قطّعنَ أكُفَّ الشّهوةِ تفّاحًا، وسَكَبْنَ الخمر على جسدٍ مقدودٍ، يَسألنَ الظّلَّ الممتدَّ كشاطئِ هذا البَحرِ المسكونِ بجنِّ قصائده..
مَن أنتَ؟
توضّأنا بنهاركَ شمسًا
فلماذا ليسَ تَهِمُّ؟!
هَمَمنا
وَسَهرنا ليلَ الخلواتِ
عَفَفْنا

وغَدرنا
راعَيْنا النَّجمَ بعينيكَ
احتلنا
....
....

(أحتالُ..
قلبي بين يديكِ كعصفورٍ بلَّلهُ الماءُ
بعينيكِ البحر كأوسَع ما يأسرني أزرقُهُ الممتدُّ
وفوقَ شفاهكِ تُشعلني نارٌ
يا امرأةً لا تهدأُ تحفرُ في قلبي ضحكتها
يا سيّدة الكَعبِ العالي..
يا ليلَ حرير اللذّة
خلفكِ تركضُ مُدنٌ وخُيولٌ ورجالٌ
وتُسمّي باسمكِ كلّ مفاتنها الكلماتُ
وترسمُكِ الفتنةُ جسَداً حنطيَّ الشهوة
هيّأت لكِ الجَسَدَ الطازجَ
فاقتربي
يا قَمَر الفِضّة)

IX. ملك لا يحلم بالسنابل

السجن أحبُّ
رسمتُ قميصى وطنًا من عَرَقِ النَاسِ
جُنون النّاسِ
حَريق النّاسِ
ومقدودًا من دبرٍ
أرمق وطنى الجالسَ بين يديهِ البحرُ حزينًا
يغرسُ رمحًا فى الطّين
ويُسْلِمُنى للسّجنِ أحبُّ
بلا ناسٍ أدفع قدمى لبلادٍ أخرى،
لامرأةٍ خضراء كأوّل شعرٍ

فاجرةٍ كالخمرةِ كأسًا أوَلَ
هادئةٍ كالليل بلا ناسْ.

رسمتُ قميصي مَلَكينِ غريبينِ
يقدّانِ الوقتَ على كتفي
أطفالاً شبه عراة في معراجِ الطّيف يلصّون الخبزَ /
عجائزَ يرفعن عصائبَ سوداواتٍ في وجهِ الغيمة برزخَ أسفارٍ
أرفع عينيَ بعينيك
ومشحونًا باليأسِ يخيّم دلّةَ حزنٍ بمضيفٍ تهمله السنواتُ
على ريقِ الذّكرى مُزنةَ أوهامٍ
أو ينساهُ الناسْ.
السّجن أحبُّ؛
صديقان جُنونان يخطّان على الرّملِ حصانًا
يصهلُ منفى، ويطُرُّ الأرضَ بلا تعبٍ
يحتميانِ من البردِ على لغةٍ دافئةٍ
أو حُلمينِ صغيرينِ
يشدُّ عليه القيدُ حُقولَ يبابٍ تأكلُ منها العقبانُ
ويَعصرُ خمرته اللّيلُ عليها سابعَ موتِ
كالسّجنِ أحَبُّ
كنافذةٍ في السّجنِ
كأقمارٍ مطفأةٍ أضيقَ من وطنٍ هاربٍ

من ملكٍ لا يحلمُ بسنابلَ خضراء /
بحقلِ أرزّ /
لا تأخذهُ سِنَةٌ أو تسرقهُ الرّؤيا..
للبقر الضامرِ يقتاتُ الجوع سنابلَ يابسةً /
لا يفتحُ وجهًا للبحرِ
ونافذةً للنّاسْ.

ii

أتحدّاكَ..
أتحدّى الصمتَ،
وأصرخُ ملءَ الصوتِ
عصيًا تجلسُ أن تسمعَ كلماتى
فاضْرِمْ نارَكَ فى جبلٍ
وتجلَّ بكل هزائمكَ الفشلِ
انزلْ..
كى أصفحَ عنكَ قصيدتىَ الوثنَ الأكبرَ
واسلبْ من قلبى قافلةَ الوطنِ المرِّ
انزعْ عنى خشبَ الليلِ
صليبَ السنواتِ المحروقةِ فوق مساميرِ الوعدِ
مَلَلْتَ تُعَلّقُ فى شماعة أخطاءِ النّاس خطاياكَ

تجلَّ..
وشمِّرْ عن وحشٍ يهدمنى بديونٍ وفواتير
اخرجْ من جسدى
كى أعرفَ أين أنامُ بلا ذنبٍ
فتجلَّ.. تجلَّ
تعبتُ أديرُ لكَ الخدَّ الأيسرَ،
وجهى لا يحتملُ الآن سوى وجهٍ
يصفعُ ذاكرتى وطنًا
فانزلْ عن عرشكَ واترك للنّبعِ المجرى.

X. حين تطلق ساكنيك

إذًا ها نَحنُ

لا مَوتى لنا في الأَرضِ

تَرجعُ فارِدًا ظِلَّيكَ، يا أَنتَ الّذي زَرَعَ القَميصَ على سِنينِ الثَّلجِ فانْتَحرَتْ على رِدْنَيهِ شَمسٌ واسْتراحَ بلا تُرابٍ أوّلٍ، يا أَنتَ يا عَطشَ السّنابلِ، كَيفَ يَدفِنُ مَوتهُ موتٌ بلا رَملٍ، وتَخْضبُ رَبّةُ المنفى جَدائلها بلا طينٍ، ويا أنتَ الّذي ضَيّعتُ في غَبَشِ المكانِ وبيننا جَيشا ذئابٍ، حينَ تُطلقُ ساكِنيكَ أمُدُّ أورِدَتي وأُطلقُ فيكَ، يا أنتَ الّذي لو هكَذا تأتي:

«أذاةً

أو نجاةً

أو هلاكا»[1]
إِذًا ها نحنُ لا موتى
وَيسكنُنا بِنا مَلَلُ الشّيوخِ، نُراقبُ الماتوا، ونَدلُقُ يومنا الثَّلجيَّ من شُرَفِ البُيوتِ، نَبيعُ كلَّ متاعنا للعابرينَ/ لسَطوةِ التُّجارِ/ للفارّينَ من جثثِ الحُروبِ/ العائدينَ بنصْرِهِم صِفْرَ اليَدينِ/ الخائبينَ/ .. لأوّلِ حاجزٍ، حين اشْتَهَتْكَ شَراهةُ البارودِ يا طينَ الطُّفولَةِ/ «أوَّلَ الرَّيحانِ»/ يا صَخَبَ السُّؤالِ وَعُزْلَةَ المعنى/ ويا أنتَ الّذي... يا أنتَ، تَتركُ فتنةَ الورَقِ المشَجّرِ، والجَوازَ اللاّزوردَ الفارغَ المغسولَ من فَزَعِ السَّحابةِ، من مَهابتِها الأكيدةِ، من مَقامِ الحِبرِ، من خَتمِ الغيابِ؛ أمامنا بحرٌ على مدِّ الجهاتِ وخَلفنا ماضٍ يربّي إرْثَهُ، لو هكذا تأتي على وعدِ المطارِ ورأْفةِ الشُّرطيِّ، يا أنتَ الّذي... يَندسُّ في جَسَدِ الحِكايةِ مُتعبًا شَبَحي ويُدرِكُهُ النَّهارُ قَصيدةً مَعْروقةً، فاطلقْ مَداكَ.
لنا وَطنٌ سواكَ
وسواكَ نَعرفُ أنَنا مَنفى بلا وطنٍ
وذاكرةٍ
وموتْ

ii
علّقيني على أوّلِ الحُلمِ
واستيْقظي فيَّ

هذا أنا..
مُتعبٌ من غيابى
قَصيدتيَ البُعدُ
أُسقطُ عنى بلادى كما أسْقطتنى

....

(لها رَملٌ ولى رَملى
لها حَجَرٌ
ولى بيتٌ وأولادٌ ومكتبةٌ هنا
جارٌ، ولى امرأةٌ أُراودُها / تراودنى
أهمِّ/ تهمُّ لا (لولا) ولا بُرهان يكسِرُ روحها..)

....

سَلامٌ على أوَّلِ الهاربينَ من الجنَّةِ الباردة
سلامٌ على روحه الصَّاعدة
سلامٌ عليكِ وأنتِ تخيطينَ روحى علَىَّ
سلامٌ عليكِ
سلامٌ علَىَّ.

(١) وأيا شئت يا طرقي فكوني   اذاة أو نجاة أو هلاكا   (المتنبى)

XI. ولادة

يُولَدُ من ضِلعِ الصَّدفةِ
من صُدفَةِ ضِلعٍ
يَعقوبُ . وتحملهُ بين ذِراعيكَ صغيراً
يحلُمُ بشُموسٍ . .
قَمَرٍ يَتهجّى وجهكَ ، يَشْتَمُّ براءتكَ البيضاءَ
يُصلّي تحتَ نوافذكَ العشرِ ونافذةٍ للبَحرِ بعيداً
يتمسَّحُ في ذيلِ عباءةِ ظلِّكَ
يمسحُ وَحلَ الغُربةِ عن رِئتيكَ
فتولدُ منهُ
كَما وطنٍ أوّل

. . . .

يهربُ من نافذةٍ شَبحى
وإلهٌ منفىٌ من عالمِه سابعَ نومٍ
فَأُكَبِّرُ فى أُذُنيهِ قصيدةَ فرحٍ لا تُشبِهنى
لا تشبه أرضى الأولى.

٣- سفر الجنون

كأس لفاتحة الجنون

كيفَ أكتبك..
المسافةُ بيننا كأسٌ
يديرُ السُّكرَ..
تحتشدينَ عاريةً برأسي
فإن أصحو يفرُّ الشّعرُ والجسدُ
- المسافةُ بيننا رأسي -
يضجَ إلهَ أسئلةٍ
وأنتِ الوقتُ تشتعلينَ ذاكرةً:
كطفلٍ.. ترتمي تعبًا شوارعها (العشيشُ)
بخطوهِ، ويمسّح التعبُ اللذيذُ عليه من
عرقٍ، ويفتح صدره للريحِ، يركضُ

حافيًا، ومهدّلاً، سقطت أزرة ثوبه..

تحتشدينَ عاريةً:
... وكطفلةٍ كبرت قليلاً،
كلما عبرت سماءً فضَّها قمرٌ، ينقّط
ماؤها زرينٍ من ماسٍ براءة قلبه، فتضجُّ
جارة أمه غضبًا. ويحطبه الغيابْ.

في غفلةٍ رحلت
تخبئ حزنها في حزنه الدَّبقِ
المسافةُ بيننا قمرٌ يسرّح غيمةً
من أيِّ بابْ.
من أيِّ نافذةٍ تلُصِّينَ احتراقي
والمساء بأول الخطوات.

صبي لنا كأسينِ نشربُ نخبها صرفًا
لتذبل غصة..
كأسًا نتمّم بعضنا بعضًا
وتحتفلين قلبًا أخضرَ
وأساورَ من فضة
وتطوفُ غلمانٌ علينا،

تمسحُ التّعبَ اللذيذَ،
كلؤلؤٍ..
وتركتِ فى شفتى شفاهًا من نبيذ.

كأسًا..
يُثَقِّلُ جفنك الثّملَ احترافُ السُّكرِ،
تحتشدينَ ذاكرةً:
... فى أى بيت من صفيحِ جنونه
خبأتِ حرز الشهوة الأولى،
فأيقظَ عينَهُ ذئبًا إلهُ السّكرِ..
تحتشدينَ عاريةً:
... وكطفلةٍ كبرت قليلاً،
إنّما رحلت قطارًا عن نوافذه. ترعَشُ
كفَّه تلويحة الكفٍّ السرابْ.
فى غفلةٍ
قمرٌ وبابٌ.

الظلُ منكفئٌ على ظلٍ
وجفنكِ صخرة..
أدمنتُ سكركِ،
وجهها فى غفوةِ العينينِ،

فى زرينِ من ماسٍ بقاعِ الكأسِ يلتمعان
أصحو ..
والمسافة بيننا لا شيء
تحتشدينَ فوهةً برأسي.

عود الهجر

أنتقى وردةً للإناءِ.. وكأسينِ من ولهٍ
ربما يطرقُ الباب فى ثورةٍ وجهها
لم يزل ليلُ (أوتاوا) مثلجًا.. والطيورْ.
لم تزل راحلةْ.

أنتقى بدلةً للمساءِ.. وعطراً خفيفًا
ربما يشتهى أن ينام على كتفى شعرها
أىُّ ليلٍ سيغفو بليلى
... ولحنًا حزينًا
أرقُصُ جرحى على نغمةٍ قاتلةْ.

أنتقي جملاً للحوارِ..
كلامًا لذيذًا عن الحبِّ
ربما يفعل الشعر ما تجهل الخمر
أنسى وأدمنه رشفة من نبيذٍ على آخر الفاصلةْ.

أنتقي شرشفًا للسريرِ.. وضوءًا بخيلاً
ربما تنتظرْ.. لو أُزيلُ القميص الأخير
انتظرنا طويلاً لنصحو من الخوفِ خوفًا
ونبكي معًا حربنا الفاشلةْ.

أنتقي عزلةً للغيابِ، (وصبراً جميلاً)
ربما يورقُ الحلم..
(.. حتَى عُودِ الهجرْ فرّعْ عودْ لاخَرْ..)(٢)
والمواعيد تخبو،
تجدّث رأسي على خشب الطاولةْ.

---

(٢) من قصيدة عامية للشاعر مظفر النواب: حتي عود الهجر فرع عود آخر وأنا أنطر

آخر السطر ابتداءً

..إلى محمد المغربي

.. لا تَبدأُ منْ أوّلِ سَطرٍ، تَعشقُ أن تَتركَ للحرفِ خَيارَ الصّرخة، تَغرسُ كفّكَ في طينِ جُنوني وتَعيدُ التّدويرَ، تُزاوِجُ بينَ الكلمات المجنونة، تَكتبُ حتى آخرَ هذا النّفَسِ المفتوحِ على الشّعرِ، وأُكملَ عَنكَ.. بلا وَجهٍ أستقبلُ جوعًا فَرحَ النّاسِ، أُخَيّطُ بنطالي للعيد السّابعِ، لَم يَبقَ من الطّويةِ إلاّ آخرُ عيدٍ أهلكهُ بينَ كتابينِ قديمين، ويَحضُرني وَجهكَ، لَم يمنحنا الوقتُ سوى أن نَجلسَ بضعَ دقائقَ في المقهى كانت كُلَّ العُمرِ، فهل تُكملُ عنّي؟ لَم يَبقَ سوى فاصلة أُخرى، كنتُ -سَميَّكَ- أقتنصُ اللّحظةَ ذئبًا، أَفتضُّ المعنى وأَقدُّ قَميصَ الكلماتِ، كأنّي..، تَتبدّلُ ألوانُ الشّارعِ، أحضنُ بقيا ما يَحملهُ الشّاعرُ في سُكرِ قَصيدَته، أترنّح ثَملاً في الصّورِ المجنونةِ بينَ نساءٍ يَهرُبْنَ إذا حَضَرَ الجنُّ السّابعُ من مَرقَدِه في جَسَدٍ مغسولٍ بنبيذ

امرأةٍ واحدةٍ تلمسُ حُزني.. أُكملُ عنكَ قصيدتنا التأكُلُ من قلبينا، تَتركُ للأطفالِ هدايا العيد.. يمرُّ العيدُ حزينًا، فكأنَّ طريقًا يأخذني مُنتصفَ السَّطرِ لألمسَ حُزنكَ، ينزعجُ الشارعُ والشرّاعُ، ويصرخُ في حداثيّو الشعرِ/ وجزّارو اللغةِ/ المفتونة باسمِ التاريخِ/ سلاطينُ التخمةِ/ ورثةُ ابنِ الفراهيدي/ وزارةُ إعدامِ الشعبِ/ النسّاكُ/ الحكّامُ/ المحكومونَ/ القوّادُ/ الحيطانُ.. ونُكملُ.. تتبدّلُ كُلُّ الألوانِ الصفراء، الحمراء، الخضراء، ثلاثًا.. ليسَ سوى صرخات النّاسِ وأبواقِ السيّاراتِ، أحنُّ لأوّلِ مقهى، وجهُ امرأةٍ يلتفُّ بزندكَ أعرفُها من قسماتِ الحزنِ الشّفافِ، وتعرفُني من قلقِ الكلماتِ، فإنْ تُكمل عنّي: لا تبدأْ من أوّلِ سطرٍ..

فى الحادى والحربين

.. إلى فتحى أبو النصر

مدخل:

(أتدلّى شَبحًا..
أقطعُ بيدى حَبلى السّرّىَّ
وتفضحنى الغُربةُ
وطنًا لا يلمسُ تعبى..
ودمًا ينتظر السكين!)

I

فى العامِ الحادى والسَّبعينَ
وُلدتُ،

كموتٍ يخطو فوقَ الموتْ

....

....

أمي سمّتني باسْمي

وتصالحتُ معي...

لي شجٌّ في الطَّرفِ الأعلى من حاجِبيَ الأيمنِ

كنتُ شقيًّا..

أحفظُ أشعارَ صعاليكٍ

وأداوي الجُرحَ ببصلٍ،

«لي دونَكم أهلونَ..(٣)»

لي شَبحي الـيَطلبني في أوَّلِ قافيةٍ

لي قَلَقُ المنفيّينَ

حَمَلتُ قَصيدَتيَ الخضراءَ

وحَمَّلني نزفَ قصيدَتِهِ الخَضراءِ

وفارَقني...

....

كلّ مساءٍ

يتركني في بئرِ قَصائِدِهِ،

أتلمّسُ جُدرانَ العتمة

أبحثُ عن زِرٍّ للضَوءِ

وعن نافذةٍ توصلُ للشّعرِ حَداثِيـًّا

يضرِبُ في عمقِ التأريخِ
ومجنونًا
- كالحربِ -
بلا معنى.

II

في العامِ الحادي والتِّسعينَ
وقفتُ على طرفِ الموتِ ثلاثًا
لكنَّ الموتَ تأخَّرَ...
فاعتدتُ الوحدة
....
كانَ مُسدَّسُهُ في رأسي..
اقرأ؟!!
.....
الحربُ ستُشعلُ كلَّ حرائِقها الآنَ،
سنكتُ..
...
اقرأ؟
؛
الحربُ..

صراعُ الآلهةِ الأُولى
ودمُ الأطفالِ /
عطايا الجوعِ /
لباس العُرى /
. . .
بينَ السّاترِ والسّاترِ صَحراءٌ قاحِلةٌ
والطلقة ذئبُ،
كانَ مسدّسهُ الباردُ يلحَسُ رأسى،
الحربُ..
عُيونٌ مطفَأةٌ /
أقمارٌ لا تَعكسُ إلا العَتمةَ /
شَيْخٌ مَجدورٌ يَنْتَظرُ النّاسَ على طاولةِ المقهى،
يفتحُ علبةَ سَردين /
أوْ ربعيَّة خمرٍ.. خبَّأها فى مِعطفهِ الرُّعبُ،
كان مسدّسهُ يَشْتَمُّ دَمى،
لم يَبْقَ سوى ثانيةٍ
فى الحربِ تكونُ السّاعةُ واحدةً...
بينَ الغارَةِ والغارَةِ نشرَةُ كَذبٍ
أو
مَوتٌ كذبُ
كان مسدّسهُ..

...

يَهْوى من يده

تَحتَ حذائِنا

ونَموتُ بِلا مَوْتْ

......

ا

ل

م

و

تْ

شَيخٌ مَجنونٌ

يَعْتَرِضُ النّاسَ على شَفَةِ الذِّكْرى

فى المَقهى /

فى الطُرقاتِ /

وفى مَدرسةِ الأطفال

فإذا ما أجَنّ عليه اللّيْلُ

تَوارى فى قَبْرٍ أضْيَقَ من جَرّةِ صَوتْ .

III

فى العامِ الحادى و . . .
الألفينْ
. . . . .
لم أذْكُرنى . . .
كُنتُ دَخَلْتُ بِلادى باسْمى الآخَرَ
ورَقى الآخَرَ
غُربَتىَ الأُخْرى
تَأشيرَةِ بُؤسٍ
. . . .
شَخصٌ آخَر
يَحْمِلنى الآنَ على كَتِفَيْهِ
ويَمشى فى أىِّ طَريقٍ . .
إلا الموتْ.

---

(٣) لي دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجاني بماجر يخذل

(لامية العرب)

سورة الخاتمة

...

.. ينتبذونَ /

يشيخونَ،

لُحاهم دَغْلُ سنينٍ موحشة

تتقلبُ فوقهمُ الغربة ذاتَ يمينٍ وشمالٍ

ويمرونَ جميعًا من بابٍ أوحدَ، أرجلهم شتّى:

أوّلهمْ وَجَعُ الوطنِ الهاربِ من غيرِ حذائيه /

الثانى سَهرُ امرأةٍ تطعنُ بالنارِ خطيئتها وتُرَمِّدُ عَينيها الوحدةُ /

ثالثهمْ طفلُ الجوعِ / الصرخةُ / رئة الطين المثقوبةُ /

رابعهمْ (مقهى الفضّىّ) يُزَحْزِحُ صوبَ البحرِ خيانتهُ /

الخامسُ لم يحضرْ من سوءِ الأجواءِ وسوءِ الرِّحلةِ /

سادسهمْ علبةُ دخّانٍ وثقاب لا يُشْعِلُ

سابعهمْ كلبُ.

٤ - امرأة من أقصى المدينة

هكذا نَلتقي..
رجلٌ من أَقصى سَفَرٍ،
وامرأةٌ من ماء
رجلٌ من سَفَرٍ،
وامرأةٌ من أَقصى الماء
رجلٌ..
وامرأةٌ من أَقصى سَفَرِ الماء.
/
نَتبادلُ نظراتٍ ضائعةً
علَّ الصدفةَ تجمعُنا
علَّ الحلمَ يراودُنا
عن مدنٍ

وبيوتٍ
وظلالٍ تشبهُنا.
/
نتهجّى اسمينا
نفتحُ قوسًا لبياضٍ
لنُبيِّضَ خاتمةً
ونعيدُ الأسماء.
/
نَسرقُ من كلِّ الوقتِ
صباحًا أوّلَ
أجملَ من شمسٍ تَسفحُ خَدينا
أو بحرٍ يتوضأُ دمعَ خطيئتهِ
أو وَشم غُبار.
/
يَسرقُنا الوقتُ
إلى شارعِهِ المأهولِ
بأحلامِ النّاسِ
وأسرارِ المدنِ الخلفية.
/
لا تحملُنا لُغةٌ
نَنْظرُ..

وَجهى فى وَجهِكِ
فى وَجهِ السّاعة
نَنتظرُ الحَفلَ كأن ينهى لُغةَ الرّقصِ
لنبدأَ لغةً أُخرى.

/

كان المغنّى، يغيب فى سُكر أغنيةٍ واحدة؛ ينوّعُ فى الإيقاع، ويُرخى غيتار الهمسِ على آخره، ثم يؤخّر خاتمة اللّحن، يُعيد الموّال الأول، يغمضُ عينيه..

وكنتَ هناك وحيداً تَفتح أسرار الطرقات، وأسرار حقائبكَ الأولى، تتخفّفُ منها فى طاولة الحانة، فى أوّل كأسٍ يندلق على الأرضية، فتنفرط الذكرى شظيةً شظيةً/ بلداً بلداً..

المغنّى الذى كان يسكَر باللّحن، يفتش فيه عن أبعد من ذاكرة؛ فى الشّال المعطّر، فى الإطار الذى مال به قليلاً قاربٌ لا يتعب؛ ثمة قبلة أولى نبتت فى بياضِ صمته.. وكانت ثمة مرآة تشرب من وترٍ، وتمرُّ بموّال فتؤاخيه..

/

ثَمَّة غيتارٌ
فى رُكنِ المقهى
والعازفُ وترٌ ومَواويل.

/

تَصعَدُ فينا الموسيقى

«مَلجأ أرواحٍ» جرَّحَها فَرحٌ عابرُ
أو
بَلَّلَها خنجرُ نِسْيان.
/
نَصعدُ فوقَ الموسيقى
نَنسى أنّا نَصعدُ فينا
نَنسى
أنّا نخلقُ لغةً
كلٌّ منّا يَعرفُها حَسْبَ مَجازاتِ الصُّدفة
أَو حَسبَ جَوازِ يَقين.
/
نَتَعلَّمُ لُغَتينا
نوغلُ في كَفَّيْ بَعضٍ
نَدرُسُ خَطَّ العُمرِ، وخَطَّ الحُبِّ،
ونُمعِنُ في مَنطقةٍ بينَ السَّبّابةِ والإبهام
....
نَقرأُ حَرفينا
كُلٌّ في كَفِّ الآخر.
/
نَعرفُ أنّا لغتانا..
أحكي عن بحرٍ

تحكى عن لُغةِ البحرِ
وعن قَلقِ البّحار.

/

البحرُ بعيدٌ.. وهذا الطريق إلى البحر لا يؤدى إلا إلى رائحة البحرِ البعيدة، أعرف أنى حين أكون قريبًا من البحرِ يسكُنُنى هاجسُ الانتحار، كما قلتُ لكل أصدقائى، ولم أركب البحرَ يومًا.. لم أمت!

ولم تقترب من البحر أيضًا؛ كانت تكتفى بقصائد فرناندو بيسوا وأغانى البحارة البرتغاليين، وهاجسِ انتحار.. لذا لا نقترب من البحر كثيراً، لأننا كل مساءٍ نعود إلى غرفتنا الصغيرة.. البعيدة عن البحر.

فى الغُرفة
صورةُ البحرِ
تملؤنا بالرّطوبة.

/

البابُ الموصدُ
يفتحُ فينا بوابات الرّوح إلى داخلنا
والناسُ على الطرفِ الآخرِ
بابٌ موصد.

/

نتبادَلُ صوراً وأغانى

ماذا تَفعلُ هَذى الشَفةُ المجنونةُ ؟
ماذا يَجرَحُ هذا الموّال ؟

/

هَذى الصّخرةُ أعرفُها
هذا الجَدولُ حينَ قرأتُ عليهِ الشِعرَ . .
بَكى !

/

كُنّا نَعرفُ أنا نعبرُ هذا الجِسرَ
إلى شَيءٍ في داخلنا
لكنّ الصُّورةَ لم تَلمحْ وَجَعَ الجِسر !

/

يعبرُ الجسرَ إلى حلمِ جزيرته المأهول بأسماءٍ ولغاتٍ، وتواريخِ دفن الموتى، يعبرُ الجسرَ خفيفًا، لم يمت في البحر ؛ والجزيرةُ طريقٌ إلى البحر قبل الموت ! . .

على أوّل الجسر، كان يبدّل حرفين في اسمه ويلغى الثالث ؛ كان الثالثُ أوّل أسماء الغربة، حين تناوشها من عزلتها، وتآلف فيها وطنًا . . وكانت في الطّرفِ الآخر، لا تعرف لعب الأسماء، ولا تأبهُ إلا للريح تمرُّ على جسدِ الغريبِ، فتبدّل رائحةَ الوطنِ تلو الآخر . .

/

هَذى الصُّورةُ باردةٌ جدًا
باردةٌ أوصالُ الصُّورةِ . .

لا تُشعِلُ ذِكرى.

/

في الصُّورةِ..
نَتَّكِئُ على ذِكرى عابرةٍ
كُلٌّ غريبٍ مرَّ على ذِكرى..
يَتَّكِئُ على صورة.

/

كلٌّ غريبٍ، حين تمسُّ الرِّيح قميص الروح عليه، يعلو شجرُ طفولته، يعلو الماء، أوّل حبٍّ.. يعلو فيه نهارٌ، يعلو اللّيلُ الذي يسهره كأيِّ غريبٍ علّمهُ الشعر بأن هناك على ضفة بحرٍ آخر، ماءً أوسع من حلم طفولته، وغابات من أشجارٍ شتّى الألوان، عصافير لا يعرف أسماء لها، ليلاً أكثر نجمًا في الصيف، نهارًا يهربُ من أقدام الناس.. ويعرفُ أن نساء المدنِ الأخرى يبحثنَ عن الغرباء ليدفنَّ بقايا حبٍّ في جسدٍ عابر..

/

كلٌّ غريبٍ جسدٌ عابر!

/

حينَ أَجيءُ..
أَجيئكِ مدمىً من ذاكرتي

....

ترتَعِدين.

كُلُّ غريبٍ
وَهَجٌ
يُطفأُ حَيثُ يُقيم.

وأنا..
ماذا يَشحُبُ في وَجهي مِنكِ
كَأنا..
حينَ أقَمنا فينا
مَلَّتنا الأَرضُ
وَفرَّتْ كُلُّ عَصافيرِ اللهِ بَعيداً
عَن شَجَرِ المَعنى.
/
ثَمَّ غُبارٌ
في هذي القَريةِ يَلتَفُّ على قَمرِ الله.
/
ثَمَّةَ قابلةٌ
لم تَلحظْ أنَّ الرُّحلَ لا شَجرٌ يَفهَمُهُم.
/
المسافةُ ما بين نافذة ونافذةٍ، جوازُ سفر ومدينتان وقاعةُ انتظار..
الزجاجُ المعتم في قاعةِ الانتظار رجلٌ منذورٌ لغير مدينته، وامرأةٌ من

مطرٍ.. المطرُ الذى يهطل الآن فى باريس يقتل شاعرها المجنون، ويُهَرِّب أنفاسَ قصائده فى دفتر يوميّات وَحيدَيْن.

/

لَيسَ غُباراً ما تَلحظُ
لَيسَ غُباراً ما يَبقى مِنكَ
وَلَيسَ غُبار.

/

تَبقى فى قَلبى..
.. تَعرِفُ أَنّى رَجُلٌ طارِئ.

/

أعرفُها من جُرحِ غيابى
.. أعرفُ أنّى رَجُلٌ طارِئ..

/

لا شيءَ أرسلهُ من مدينةٍ غافيةٍ بين أزرقين؛ لا الرسائلُ مأهولةٌ بالحكايات، لا صورةُ البيت المقيم على حافّة الغياب تشبه البيت، لا حائط الكهرباء المبلّلِ بالجملِ المراهقة، لا كلمات الأصدقاء الذين مضوا سريعًا فى الزّحام، ولا وردة فى هذا الهواءِ الرَّطب، لا بطاقات عليها أسماء شعراء راحلين أو صور متاحف أو قبة برلمان، لا حانة يندلقُ عليها الوقت حين يسقط كأس النبيذ من الحافّة الأخرى، ولا الأغانى..

لا شيء أرسله سوى قلقِ العابرين من المُقام!

ثَمَّةَ ظِلٌّ يَلحقُني
في كُلِّ مَدينة..
لا أَقصدُ ظلِّي الظِّل،
أو ظلِّي السَّاكنَ في رُكنٍ أولَ،
أو ظلِّي الخائفَ من ظلِّه،
أَو ظلِّي المُتَهالكَ في ظِلِّ جِدارٍ،
أَو ظلِّي في شَمسِ الشَّارعِ
حينَ يَكونُ هُو السَّائرُ
وَأنا ظِلٌّ في ظِلِّه.

تَعشَقُ فَرحَ الأَسودِ
بقميصٍ أَسودَ،
قَهوتها السَّوداء،
الكحلَ الأسودَ،
ظلأنا..
شَيءٌ أَسودُ يَجتازُ الشَّارِع.

الشَّارعُ مُبتَلٌّ
وَالغَيمةُ غادَرَت التَّوَّ
إِلى أرضٍ أُخرى

كُلُّ بلادٍ أَعبرُها
تَرحلُ غَيمة .
/
أَستَيقظُ مُنتصَفَ الشَّهوةِ
أَسْتَنشقُ عِطرَكِ
طَعمَ القُبلةِ في ريقي
القبلةُ تلكَ الأُولى
حينَ التَقَتِ العَينُ بعَينٍ
والشَّفتانِ
الجَسَدان . .
ثُمَّ افترَقا .
/
لَيْسَ لدىَّ سَريرٌ
أَفتَرِشُ الأَرضَ
وَتفرِشُ رَغبَتَها في أرضٍ أُخرى .
/
أَفتحُ شُبَاكًا
تَفتَحُ شُبَاكًا
وَشَبابيكُ مَدائِننا مُطفأةٌ
وَالنَّاس . .
مُطفأةٌ أَعينُهُم

مُطفأةٌ..
أَنفاسُ النَاس.
/
كانَت تَدفِنُ وَجهًا أَسمَرَ في رِئَتَيْه
كانَ الأَسمرُ في رِئَتَيْهِ مَقابِرَ أَنفاسٍ
والرِيحُ وُجوه.

الشاعر

*** محمد جابر النبهان**

- الكويت ١٠ أبريل ١٩٧١ .
- عمل كخطاط ومصمم منذ العام ١٩٨٩ .
- هاجر إلى كندا فى سنة ١٩٩٥ ، وعاد للكويت فى سنة ٢٠٠٧ .
- حاصل على دبلوم فى التصميم الغرافيكى وتحرير الصور كندا ٢٠٠٠ .
- حاصل على دبلوم فى برمجة وتطوير وصيانة مواقع الإنترنت ٢٠٠٥ .
- أحد مؤسسى (مجلة أفق الثقافية) على شبكة الإنترنت ٢٠٠٠ ، وهى مجلة أدبية ثقافية إلكترونية تعتبر جسراً لعبور المسكوت عنه فى التاريخ والواقع ويشغل منصب مدير تحريرها منذ ذلك الحين.
- أحد مؤسسى (جذور الثقافية) ، وهى مؤسسة ثقافية مستقلة تعنى بالأدب والفكر المهجريين خاصة فى الشمال الأمريكى (الولايات المتحدة وكندا) .
- عمل فى القبس الكويتية من ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠ .
- أحد مؤسسى دار مسعى للنشر والتوزيع - الكويت ٢٠٠٧ .

- شارك في عدد من المهرجانات العالمية في كولومبيا ورومانيا وألمانيا وغيرها، فضلا عن بعض المشاركات العربية.
- ينشر نتاجه الشعري في المجلات والصحف العربية والمواقع الإلكترونية المتخصصة بشكل مستمر.
- يعد برامج إذاعية، وفاز برنامجه «السيرة الشعرية للمتنبي» بالجائزة الفضية لإذاعة الكويت في مسابقة الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني في مهرجان الخليج العاشر بالبحرين.
- حاصل على الجائزة الخاصة لمهرجان نكيتا ستانيسكو ٢٠١٠ للشعر العالمي.

• صدر له:

- «غربةٌ أخرى» - دار المدى - دمشق ٢٠٠٤.
- «دمي حجرٌ على صمت بابك» (سفر يوسف / سفر الجنون)- منشورات مؤسسة جذور الثقافية ٢٠٠٥.
- «وحيدا تحت ظل نخلة» - مختارات باللغة الرومانية ٢٠١٠.
- «امرأة من أقصى المدينة» - مسعى للنشر والتوزيع - الكويت ٢٠١١.

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة
آفاق عربية

123- القـــارورة........................ يوسف المحيميد

124- رمـل الأفعـى .... المتوكّل طه

125- تَقاسُم الصمت ....عيسى مخلوف

126- عـشـبـة الـوهـــم .... علي جعفر العـلاق

127- المرأة والصبي .... الميلودي شغموم

128- سُلالتي الـريح ... عـنـواني المطر ...... موسى حَوامدة

129- سمـــاء مؤجَّلـــة .... شوقي بزيع

130- لغــة السّــر .... نجوى بركات

131- رمــاد الـمـــاء .... عبد العزيز بركة

132- الوصول إلى زهرة الماء .... أمجد محمد سعيد

133- حمار بين الأغاني .... وجدى الأهدل

134- حديقــة الرمــل .... غازى حسين العلى

135- روايـة السيـد «م» .... سمير عبد الفتاح

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496



لا شيءَ أرسلهُ من مدينةٍ غافيةٍ بين أزرقين؛ لا الرسائلُ مأهولةٌ بالحكايات، لا صورةُ البيت المقيم على حافّة الغياب تشبه البيت، لا حائط الكهرباء المبلّل بالجملِ المراهقة، لا كلمات الأصدقاء الذين مضوا سريعاً فى الزّحام، ولا وردة فى هذا الهواء الرَّطب، لا بطاقات عليها أسماء شعراء راحلين أو صور متاحف أو قبة برلمان، لا حانة يندلقُ عليها الوقت حين يسقط كأس النبيذ من الحافّة الأخرى، ولا الأغانى.. لا شىء أرسله سوى قلقِ العابرين من المُقام!



وزارة الثقافة



www.gocp.gov.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com.eg
www.qatrelnada.com.eg